

المیسرۃ رفعہمحل
غفرلہ لہم والدیہ

۵۰
البلاغۃ القرآنیۃ
أسرار الفصل والوصل

دکتر صبح بخیر دراز

المیسرۃ رفعہمحل
غفرلہ لہم والدیہ

۲۱۱،۷
ص ۱۱

المليحة رفع هـ محمل
غفر الله له ولوالديه

دكتور صباح عبيد دراز

كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

في
البلاغة القرآنية
أسرار الفصل والوصل

الطبعة الأولى

١٤٠٦ هـ - ١٩٨٦ م

مطبعة الأفق الثانية
٣ شارع جزيرة بدران شبرا - مصر

المليحة رفع هـ محمل
غفر الله له ولوالديه

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين ، نحمده ونستعينه ونستهديه ، والصلاة والسلام
على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه . وبعد :

قد أنزل الله قرآنه العزيز ، بهذه اللغة الشريفة ، فذبحها جانباً من
الإيجاز والخلود ، وأعطى أديبا دفعة أن يتحركوا - ما وسهم الجهد
والطاقة - في هذا المدى للتطاول فيما دون الإيجاز ، وهذا دال ، على
ما لهذه اللغة من خصوبة وغنى بأسرارها وأنها نبع ثر لا يفيض ، يسم
القرائح والمواهب والعقول .

وعلى كثرة ما قام به علماء العربية - على مدى الأجيال - فما زالت
في حاجة إلى عقول كبيرة مخلصمة تكشف مزيداً من أسرارها ، وسمات
تراكيبها وطرق أدائها في شعر شعرائها ونقاج أديبائها ، شاعرا شاعراً وكتاباً
كتاباً ، وصولاً من الخاص إلى العام أعني الجمع بين السمات الخاصة وصولاً
إلى السمات العامة للعربية ، لكن يبدو أن هذا مطعم غير قريب .

وإذا كان هذا شأن اللغة في إطارها العام فإن اللغة القرآن الكريم
شأنها أكبر وأخطر ؛ فما زالت قضية الإيجاز البياني من أهم القضايا التي
تستغفر جهداً جديداً . وما زالت المناهج - على كثرتها - تحاول أن تقدم
جديداً . وأعني بالمناهج ما استقر منها على أصول ثابتة وقوانين ماثلة ،
وما التحم بالتراث بفضه نقضاً - كما يقول بعض المعاصرين - ويستثمر ما فيه

من قيم جليلة ، وهي كل متعاضد ؛ ذلك أن التواصل بين الجديد والقديم
ما زال قويا طالما أننا نكتب فنيا بذات اللغة التي كان يكتب بها القدماء
وهي اللغة التي تجمع بين العربي وأخيه العربي مهما تفاوت بهم الدار .

أعني بذلك أن المصطلح الذي لم يستقر والذي مازالت في دور الحاققة والتجربة
وتعديد المصطلح لا ينبغي أن تكون أملا لمباحث جاء يحاول جدليا
في اكتشافات أكثر من الإيجاز فهو سميت اللغة حيوانا .

ولكن أن اللغة العربية قد منحتها القرآن صيغة الثمائية التي ترسم قولتين
وأطرا عامة ؛ بها تكون اللغة في البنية والهيئة والتركيب ، وهي بذلك
قوة حادة وتختلف عن سائر اللغات التي هي في تغير مستمر ، وتطور وتقلب
نظرا ، ودلالة ، وهذا سبب في أن القاري ، العادي قد يفهم شعرا الجهليل
وكثير وكعب بن زهير وجليل بن مصر يذما ما كتبه بن جوفسون وشيكسبير
ومن في عصرهم شرقا وغربا ليس واضحاً عندهم ؛ بل لا بد من تبسيط أقرب
إلى الترجمة . وطالما أن انهم في تغير فنأههم أيضا .

وانظر - مثلاً - إلى الأسلوبية - وهي منهج يتكىء على اللسانها ثم
ينظر إلى البند الأدبي على استحياء - نجد إلحاحاً من بعض الباحثين - على
اليداعة العربية - عليها ومع اعترافهم بأنها مازالت في طور التخلق والمحاولات
والاجتهادات التي تختلف في تديد مصطلحها ، اختلاف البنيات واللغات ؛
مابين الفكر الروسي والتشيكي والأمريكي والأوربي عموماً ؛ مع كل ذلك
تجد هذا الإلحاف على الفكر العربي المعاصر بهذه الأسلوبية . وإليك لفتراً
لأحد الباحثين فيها ترى من التعسفيات واليقابلات والمروحي

مؤلفات المطلحات التي يختلف فيها المخرجون فهذه الأسلوبية المنشورة بالذاتية
والعبرية والوصفية ، الخ . . ثم إن بعضا ممن يكتب فيها فإن أسلوبه
في غرضه وإيهامه ما يترجم إلى العربية من مقالات الأسلوبيين أنفسهم
بما شكك منه أدباء ونقاد كبلو .

لكن المثير حقا هو أن الباحثين أو قل الناطقين العرب لا يرى أن أسلوبهم
هتلة بين التراث العربي والأسلوبية ومعهم حق . ذلك أن اهتمامهم بالظاهر
من الأسلوب ألا كان ولو نطق به ريفي على مدار سائتيه ، ومع في خضمهم
لذلك مع الحذف والتقدير بل مع للنحاة والبلاغيين على السواء جميعا .
وقد نجد من تحمله حماسه من الباحثين على عقد موازنة بين البلاغة
العربية عند السكاكي أو عبد القاهر وبين الأسلوبية أو بين عبد القاهر
وتنويوسكي أو من يحلل شعرا لشوقي أو غيره تحليلا أسلوبيا بنحو ما يصطنع
فيه المنهج الرأى فهذا بعيد عن عالم النقد والجمال بمراحل .

وقد رأينا منهم من استثمر إشارة لبعض الغربيين في العزلة بين
مؤدبي « اللو » حرف المعطف في الكتاب للقدس عديم وبينة في شعر
بعض شعرائهم فعالج حرف المعطف في القرآن من منطلق أسلوبى بدأ فيه
بمجهول المفسرين والنحاة والبلاغيين وبخاصة عبد القاهر - الذى أخطأ -
من وجهة نظره - خطأ كبيرا حين أقام دعائم للفظم في نظرية
متكاملة .

هذه نماذج نذكرها ، وفيها قدر من الخطر على الناشئة لأنها تقدم
كبيانات ينبغي أن يحذروا منها ، ومحاولات ومجازفات .

تعالوا لنسأل الذين يكتبون على الحديد - على إطلاقه - بل يفكرونه
 فنحن لا نجد جذور حضارة في القديم أو لم يكن في خدمة التراث إضافة
 جديدة.

ولا بأس أن تعالج الأسلوبية - على فرض وصولها إلى مستوى العلم -
 من خلال علم اللغة المقارن أو حتى اللغة - المقارن أما أن تكون ضمن
 الميديولوجية الحديثة التي هي في أحسن مفاهيمها نصف الماضي بما فيه
 مما يقوم عليه فهذا مما لا يسكت عنه ، ولهذا موطن آخر .

ونعود ليقول : ان البلاغة القرآنية ما زالت منطوية على أسرار بكر
 عدل أكثر من موضوعاتها ، لا تجد حوله إلا شذرات ولغات وخواطر
 يستضاء بها .

ولذلك مثلاً موضوع الفصل والوصل في القرآن ، فقد جهد الإمام
 عبد القادر في تتبع ذلك ، وبخاصة ما تذكر فيه الواو وما أتت في الجمل
 التي لا محل لها . لأنها المواطن التي تحتاج قدراً من الفكر وإعمال ذهن
 و كان كلامه - رحمه الله - نه - أية الاجتهاد لعقله الكبير وقلبه الملمم ،
 فوضع من القوانين ما لم يصف إليه المتأخرون إلا هذه المباحث القيمة في
 عطف المفردات ، اعتدى إلى جوانب منها الزخمشى والسكاكى والسميلى
 والرازى ، وأبو حيان ، وعنهم أخذ الزملى كاتى والعلوى والسبكى ،
 وأصحاب التقارير .

ولم يكن بقيت هنالك ، جوانب خطيرة منها : قضية عطف الخبر على
 الإنشاء أو العكس ، وعطف المؤكد ، وحتى في المفردات أو الصفات التي

جاءت في مواطن متوالية دون عطف وفي أخرى مطونة بالواو ، وأسرار ذلك بلاغيا ، تلك الأسرار السكامة وواء العطف أو تركه ووراء عطف المتخالفات لإنشاء وخبرا أو ترك العطف حسب « قانون كمال الانقطاع » في الأهم الأغلب .

وغير ذلك من التضياع التي يساورها - في أناة وريث - هذا البحث - مؤملا في الله التوفيق والسداد والرفع والرشاد .
والله ولي التوفيق ؟

صباح عبيد دراز

بسم الله الرحمن الرحيم

الفصل والوصل :

لعل الوصل والفصل بمعنى معرفة المواطن التي تقتضى العطف أو تركه من أقدم الاصطلاحات الفنية التي تنبه لها العلماء في فجر التأليف البلاغي . أما إدراك هذه المواطن عند العرب فقد كان سليقة وفطرة ، بمعنى أن الأسلوب الخاص الذي يقتضى الواو مثلا أو تركها كان يجري في التعبير على نحو تلقائي لأنه معبر عن وجدانهم وفكرهم ، والواقع أن ما يكن في اللغة ، من نظام متكامل نحوي أو بلاغي مما يمثل عبقرية هذه اللغة ، لم يكن نهجا عقليا صارما عند العرب فحسب ، بل كان حياة كاملة . أعنى تصويرا لمواطنهم وأحاسيسهم ومناحي تفكيرهم : فإدراكهم للأساليب كان حسا وجدانيا قبل أن يكون نظاما عقليا أوهما معا في تداخل لا انفصام فيه . تأمل ما جاء في الأثر حين سأل أبو بكر الصديق رضى الله عنه رجلا « هل تبين هذا الثوب قال لا عافاك الله » فقال أبو بكر لقد علمتم لو كنتم تعلمون قل لا وعافاك الله «^(١)» يعنى أن الواو هنا تفصل بين جملتين الأولى منفية وهي جواب عن سؤال ، والثانية دعائية فيها أدب التعبير وسمو الذوق والخلق . ولو حذفنا لأوهمت العبارة تحول المعنى من الدعاء له إلى الدعاء عليه ، وهو عكس ما يتطلبه المقام ، ولأثر الواو في بل هذه الأساليب بيانا للمعنى دون لبس وتجليه للاحاساس دون خلط بل توقف ذلك على ذكرها ، صورها

(١) وراجع البيان والتبيين ١/ ٢٦١ .

(١ - الوصل)

لصاحب ابن عباد في تعبير شعري بأن الواو هنا أحسن من الواوات على حدود الملاح يقصد خصائص الشعر الملتوية المعقوفة على أصداع الحسان وهو بهذا يعطى الواو بعداً جمالياً فنياً^(١).

وقد قلنا إن في هذه اللغة نظاماً عبقراً متكاملًا تشترك علوم العربية في الكشف عن أسرارها ومكنوناتها ، ونظن أن العلماء في اللغة والفن والبلاغة والنقد والأدب وغيرها قد أتيح لهم أن يكتشفوا قدرًا أكبر من جوانب هذا النظام ، وما زال في اللغة جوانب تنتظر المزيد من الجهد والكثير من المناهج .

ولا شك أن هذه اللغة الشريفة بأدواتها وألفاظها وتراكيبها ومناهج القول أو وسائل الأداء فيها ونسجها قد أعطت الأطر العامة للتعبير وتركت للأديب حرية التعبير بما يصطنع من وسائل تتعدد بتعدد الطبائع والمواهب وهذا سر خلودها . ودع عنك من يقول ببنائها فهذا النبات إن كان فيما تقوم عليه من قوانين عامة تشمل الوجدان العربي والفكر العربي المستمر فهذا صواب ، وإن كان في وسائل التعبير ومناهج القول وطرق الأداء ، وهذا ما يقصده المستغربون فهو باطل داحض الحجة ؛ لأنها وسعت آفاق الشعراء والكتّاب والأدباء . ولكل وجهة وتسم غيرهما آلافاً وآلافاً . وإذا فمن يريد التجديد حقاً فأماه به مجال الوسائل الفنية محسوماً بالأطر العربية أو قوانين العربية . ذلك أن التجديد ينبغي أن يكون من داخل اللغة ذاتها وهي مرنة كما قلت ولأن اللغة تمثل نظاماً دقيقاً وبناءً محكمًا وهندسة مكتملة نجد أن كل محاولة . أو دعوة زئيمة لتجديد اللغة العربية في قواعدها

(١) درة القواص للحريري ٣١ .

أو قوانينها بإدخال بعض المفاهيم الغربية الغربية أو الشرقية عليها بادعاء تطويرها إنما يقوم بذلك إما شعوبى حاقداً أو لمجد ما كر أو جاهل إنمعة ، لأن عملية التطعيم هذه تشويه للفكر والحسن العربى ، أو إحداث خلل فى منايه اللغة من فكر وعاطفة وهو أمر تأبى عليه اللغة العربية منذ بدء الفسزوالثقافى من أعداء العربىة وأتباعهم المسوخين ، والواقع أنه لى تقبل اللغة ما هو غريب عنها ينبغى أن ينقلوا العالم العربى إلى الغرب أو الشرق أو ينقلوها إليه ، إذ كل كلمة فى العربية لها دلالتها وارتباطها بالبيئة والعرف والتقليد والثقافة والدين ، فهى أشبه بلامح الوجه وسواد العين وجودة الشعر أو استرساله وسمرة البشرة مما هو داخل فى سنن الوراثة وإن يتحول عبد الله العربى إلى مستر « جاكسون أو جهلاخوف » بحجة قلم مفروض .

وإطالتها هنا عن قصد لأننا مللنا من هذه الدعاوى التى تلبس كل يوم زياً وستمنا من دعاة الأسلوبية والحداثة فى إلحافهم وإلحاحهم وحرصهم للعربية والمجيب أن بعض تلازمة الأسلوبية يحاولون تطبيق بعض مفاهيمها الآن مع الأساليب القرآنية ، فى محاولات فجأة رديئة ، تأباها اللفظة والحسن العربى والإسلامى .

والصلات أو العلاقات أو وسائل الاتصال بين الألفاظ فى الجملة وبين الجمل فى النسق القرآنى وكذلك بين المعانى القرآنية أشمل وأعم من الوصل بمعناه البلاغى ، ذلك أن الوصل بمعنى العطف بين المفردات والجمل فى مواضع المعروفة ، وكذلك الفصل أيضا بمعنى ترك العطف لشدة الاتساح والاتصال بين العبارات والجمل بأن تكون الجملة الثانية جواباً عن سؤال نشأ من

الجملة الأولى أو تأكيداً لها أو بياناً أو بدلاً إلى غير ذلك من مواطن الفصل
المهودة إنما ذلك ، أعني الفصل والوصل ، من وسائل الاتصال والالتحام
بين الأساليب ، تلك التي تشمل عديداً من الصور التعبيرية ووسائل الأداء
كأدوات الربط والشرط والتقابل بين المعاني أو التناظر أو التفريع مما اجتهد
في تجليته علماء المناسبات أو التناسب بين الآيات والصور تلك ألف فيها
العلماء بحوثاً كان كرماني والسيوطي وطبق ذلك باستقصاء وعمق وحسن
نأت الإمام الرازي في تفسيره والإمام البقاعي في تفسيره أيضاً . على أن
للقرآن خاصية غريبة هي أن القرآن الكريم - كما يقول العلامة الشيخ
محمد عبد الله دراز - حين يجمع الأجناس المختلفة لا يدعها حتى يبرزها
في صورة مؤتلفة ، وحتى يحمل من اختلافها نفسه قواماً لا ثقلها . وهذا
التأليف بين المختلفات مازال هو العقدة التي يطلب حلها في كل فن جميل
وهو المقياس الدقيق الذي تقاس به مراتب البراعة ودقة الذوق في تلك
الفنون والصناعات ^(١) ثم قال الشيخ رحمه الله « وعلى هذه القاعدة ترى
القرآن يعمد تارة إلى الأضداد يجاور بينها فيخرج بذلك محاسنها ومساوئها
في أجلى مظاهرها ويعمد تارة أخرى إلى الأمور المختلفة في أنفسها من
غير تضاد فيجعلها تتعاون في أحكامها يسوق بعضها إلى بعض مساق التنظير
أو التفريع أو الاستشهاد أو الاستنباط أو التكميل أو الاحتراس إلى غير
ذلك . وربما جعل اقتران معنيين في الوقوع التاريخي ، أو تجاور شيئين
في الوضع المكاني دعامة لاقترانهما في النظم ، فيحسبه الجاهل بأسباب

(١) راجع التبا العظيم ١٦١

النزول وطبيعة المكان خروجاً وما هو بخروج وإنما هو إجابة لحاجات النفوس التي تدعى فيها تلك المعاني فإن لم يكن بين المعنيين نسب ولا ظهر بوجه من هذه الوجوه ونحوها رأيت يتلطف في الانتقال من أحدهما إلى الآخر، إما بحسن التخلص والنهيد، وإما بإمالة الصيغ التركيبية على وضع يتلاقى فيه المتباعدان ويتصافح فيه المتناكران. « على أن روعة النظم القرآني — كما علمت — لا تقوم دائماً على حسن التجاور بين الأحاد، بل ربما تراه قد أتم طائفة من المعاني، ثم عاد إلى طائفة أخرى تقابلها فيكون حسن الموقع في التجاور بين الطائفتين موجبا لحسن المقابلة بين الأوائيل من كل منهما أو بين الأواخر كذلك، لا بين الأول من هذه والأخر من تلك » (١).

وفي هذه الفقرة الجامعة لا يقتصر التناسب على الجامع العقلي أو الوهمي أو الخيالي بل يتعداه إلى تداعي المعاني في النفس أو نوع من الجامع النفسي العام الذي ينظم النفوس البشرية. وهذا غير ما يروج له دعاة الشر الحر من الجامع النفسي الخاص بالشاعر، وهو لون من التهويمات أو قفاعات العقل الباطن أو اللاوعي، مما يدخل تحت أحلام اليقظة وخیالات المرورين ثم إن الشيخ رحمه الله نبه إلى ضرب من التقابل، وهو وإن كان داخلاً تحت الجامع العقلي يوصى إلى تقابل الأحداث ومجموعاتها، أو النماذج وما يتعلق بها. كما ضرب لذلك مثلاً بعد في قوله تعالى: « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » (٢) بعد آيات الملتقين

« الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون » الآيات^(١)
فلم يأت المطف — كما يأتى فى عطف النقيض على تقيضه — إذ لم يقصد
اقتزال الحديثين من أول الأمر بل على وجه يبنى فيه بعض الكلام على
بعض لإجابة لهذا السؤال الذى نطقت به الحال وهو الاستئناف البياني
أو شبه كال الاتصال .

وقد اجتمع هنا التقابل مع شبه كمال الاتصال تأكيذا للاتصال ولونا
من ألوان التصوير بالطباق . وتداعى المعانى هذا سماء سيد قطب رحمه الله
بالتعاضد النفسى . ولعل من أوائل من تنبه له الزمخشري فى تفسير الفاتحة^(٢)
ثم إن هذا التقابل طريقة من طرق التصوير والتلحين كما ذكر سيد قطب
يكثّر التعبير القرآنى من استخدامها فى تنسيق صوره التى يرسمها بالألفاظ
على نحو دقيق^(٣) .

والواقع أن العلماء فى جمهورهم يركزون على قضية التناسب التى لا تختلف
فى القرآن الكريم بل ربما كانت شغل بعضهم الشاغل كالرازى والذبيسابورى
وابن العربى والبقاعى والشاطبى ، وهى قضية أثارها العلماء من قديم حين
علمن بعض الملاحدين فى فكرة التناسب فى القرآن فى بعض الآيات كما فى
قوله تعالى : « كما أنزلنا على المقسمين الذين جعلوا القرآن عضين »^(٤)

(١) البقرة ٢ - ٥

(٢) راجع التصوير الفنى ٢٨ ، ٨٨ والكشاف ١/٦٤

(٣) راجع التصوير الفنى ٩٦ .

(٤) الحجر ٩٠

وقوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق »^(١) وقوله تعالى :
« لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه » ؛ مما اهتم الخطابي
بالرد المقتنع عليه واهتم به العلماء في التفسير وعلوم القرآن . والآيتان الأولىان
مبنيتان علي الايجاز وهو شجاعة العربية وصر جمالها ، أي أنزلنا عليك
كتابا كريما كما أنزلنا التوراة والانجيل على اليهود والنصارى الذين
اقتسموا كتبهم فأخذوا ببعض وتركوا بعضا ، ثم قالوا في عناد : إن بعض
القرآن حق موافق للتوراة وبعضه غير ذلك فاقسموه وعضوه . وفي آية
الأنفال : أوحينا إليك قصة الأنفال بحق وهم له كارهون كما أخرجك
ربك من بيتك بالحق لاعتراض العيرسبيا في غزوة بدر الظافرة وكانوا
لذلك كارهين . ووجه الشبه : ظهور الحق وجليل أثره بعد كرههم له .

وفي آية القيامة : بل الإنسان على نفسه بصيرة ولو ألقى معاذيره
لا تحرك به لسانك »^(٢) فيه عارض من حال دعت الحاجة إلى ذكره
كما ذكر الخطابي : كقولك للرجل وأنت تحدثه فيشتغل عنك بما يظنه
مهما : أقبل على ونحوه ثم تصل حديثك ولا تكون بذلك خارجا عن
الكلام بل مستوصلا له ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أميا لا يقرأ
وكان إذا نزل القرآن يحرك به لسانه مخافة أن يفتلت منه كما روى عن
ابن عباس ف قيل له تفهم ما يوحى إليك ولا تتقلبه بلسانك فإنما يجمعه لك

١) قوله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق » .

٢) قوله تعالى : « لا تحرك به لسانك » .

ونعطفه عليك^(١) وقد جمع الزركشى معظم الآيات المشككة وردود العلماء والعلماء أيضاً يذكرون حسن التخلص بالخروج من الكلام إلى كلام - كما ذكر ابن الأثير - لطيفة تلائم الكلامين السابق واللاحق وقد رد ابن الأثير كما رد غيره على أبي للعلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي ، وكان من فضلاء عصره وشعراء نظام الملك وقد رأى أن كتاب الله خال من التخلص وأنه وقع على الاقتضاب . وقريب منه رأى العز بن عبد السلام أنه إذا اختلفت أسباب النزول فالربط بين الآي ضرب من التكلف وبخاصة أن القرآن نزل في نيف وعشرين سنة .

وعن نفخ في فسكرة الاقتضاب وجعلها وادها من أودية البلاغة بعد الغانمي الإمام العلوي ، وأساس الفكرة عنده أن الاقتضاب في شعر القدماء من البلاغة وكتاب الله لا واد من أودية البلاغة إلا وهو أخذ منه ينصيب^(٢) وهو رحمه الله لم يلاحظ farkاً هنا بين البلاغة البشرية والبلاغة القرآنية تلك التي كان التلاؤم والتناسب وتداخل الآيات والسور مع أنها نزلت في نيف وعشرين عاماً سبباً من الإعجاز الفارع وأنه من عند الله تعالى ، وقد أخذ المعاصرون على القدماء الفصل بين المعاني وعدم التناسب بينها والبعد عن الوحدة الفنية والنفسية في القصيدة اضطراباً في الفكر أو خللاً أو فتوراً في الطبيعة أو توزعاً للحس وما إلى ذلك . وقد رد بعض النصفين

(١) راجع في الآيات بيان إعجاز القرآن للخطابي ٥١ ، ٥٢ وتفسير
الكشاف ، ١٤٣/١ ، ٣٩٨/١ ، ١٩١/٤ .
(٢) راجع المثل السائر ١٥٣/٣ والطراز ٣٣٠/٢ ، والبرهان ٤٣/١ ،
والنبا العظيم ١٦٠ .

بأن ما بعد اقتضابا عند كبار الشعراء الجاهليين وهم لا يفوتهم ذلك - راجع إلى الرواية والرواة وسقوط أبيات من الحفظ، والقضية ذات شجون .
المهم أن جمهرة العلماء رفضوا تماما فكرة الاقتضاب هذه لأنها مناقضة للتلازم والتناسب وأقول الله عن القرآن « ولقد جئناهم بكتاب فصلناه على علم هدى ورحمة لقوم يؤمنون » ^(١) وقوله سبحانه « كتاب أحكمت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير » ^(٢) .

الوصل بحروف العطف :

وحروف العطف غير الواو ، كالفاء وثم وحتى ولكن ولا وبلى ، لها معان خاصة كالترتيب والتعقيب والترتيب والتراخي والغاية والاستدراك والنفي والاضراب . وهذه الحروف بمعانيها التي تقتضيها المقامات وسائل ربط أمرها بين غير مشكل .

أما الواو التي لا تفيد ترتيبا ولا تعقيبا بل هي لمطلق الجمع أو مطلق التشريك في الحكم فهي تحتاج دقة وصعوبة وذكاء بشرط يعرف أمرار الكلام ومتى يقتضى ذكر الواو أو حذفها .

وهنا أمران مهمان :

الأول : أن توزيع حروف العطف في القرآن من الواو أو الفاء أو ثم واقع موقعه من الدقة والتلازم والإعجاز .

والثاني : أن تبادل الواو مع الفاء في عديد من الآيات التي تدخل تحت التشابه والمقابلة ، يحتاج ذكاء خاصا ، وعلماء ملهما ، في بيان أمراره

(٢) هود ٢ .

(١) الاعراف ٥٣ .

والأمران معا في حاجة إلى بحث مستقصى متأن على المهج الذي تفضل
للافادة العلمية الثابتة ، وقد نجد أن ابن الأثير وتبعه العلوي ذكر شواهد
للأمر الأول ، وأن الأسكافي والكرمانى والرازي وبعض المفسرين ذكروا
شواهد للأمر الثاني واكتفى بنقل ذلك أو بعضه البحث البلاغي المعاصر
تحققاً والأمر كما أسلفت في حاجة إلى بحث عميق متريث ومراجعة دقيقة
نرجو الله أن ييسر لنا أو لإخواننا الأسباب .

من الأمر الأول ذكره ابن الأثير وتبعه العلوي في قول الله تعالى «والذي
هو يطمئني ويستقن ، وإذا مرضت فهو يشفين والذي يعيتقن ثم يحمين »^(١)
وعطف السقي على الإطعام بالواو إمادة الجمع بينهما وعطف الشفاء على
المرض بالفاء لأن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال من أحدهما ، ثم عطف
الثالث بهم لأن الأحياء بعد الموت إنما يكون بمهلة وتراخ^(٢) .

رقول ابن الأثير والعلوي إن تقديم الإطعام على الإسقاء والإسقاء
على الإطعام جائز لولا مراعاة حق النظم ليس دقيقاً لأن الاستعمال القرآني
قدم الطعام على الإسقاء والأكل على الشرب أبداً فهو ترتيب بالطبع
والأهمية والوظيفة الحيوية ، ففكرة الجواز مرفوضة وتعبير الإمام العلوي بأن
مراعاة حسن النظم والمشكلة أوجب ذلك ولم بشيء من أسرار التقديم هنا
ولا يستوفيهما ثم إن قول ابن الأثير إن الشفاء يعقب المرض بلا زمان خال
من أحدهما مما يثير التعجب في موقف ابن الأثير الذي يشن حرباً على الإغراق

(١) الشعراء الآيات ٧٩ - ٨٢ .

(٢) راجع المثل التسائر ٢٦٠/٢ والطراز ٢٠٤٢/٢ .

العقل والفلسفى فى معالجة البلاغة ثم ينسى هو ذلك أحيانا، لأنه لا يمكن أن يفصل عن ثقافة عصره طوعا أو كرها، ولذا عدل العلوى هذا التعبير. وقيل عن الرازى ما يفيد مع تعقيب الشفاء المرض التنبية على عظم المنة بالعافية بعد المرض من غير تراخ. والواقع أن هذا مقام ثناء على الله تعالى بتمداد نعمة التى توجب عبادته تعالى، ثم تمهيدا للدعاء الضارع، ولذا أسند إبراهيم عليه السلام المرض إلى نفسه حسن أدب وإيمان إلى ما فى التفريط فى المأكل وللمشرب من أسباب المرض^(١).

وأسند الشفاء إلى ربه بضمير الفصل بالفاء أملا فى الشفاء المحبوب وإسخر اعا بتمديد النعم، وثناء على الله باقتداره على الشفاء العاجل. فالفاء لم تعد تعقب الشفاء للمرض فحسب بل أفادت مع إذا أن المرض قصير تدارك رحمة الله. بشفاء سريع لا يطول بعده المرض. والواضح من آيات الشعراء ارتباط التعابير فى حروف العطف بالترتيب الزمنى طولا وقصرا بهم والفاء وبإرادة الجمع بالوار مع الترتيب أيضا المؤدى بالتقديم أعنى تقديم بعض العبارات أو الألفاظ على بعض. وهذا الترتيب ألزمه القرآن كما سنفالج ذلك قريبا إن شاء الله.

وقال تعالى: « قتل الإنسان ما أ كفره من أى شىء خلقه من نقطة خلقه فقدره، ثم السبيل يسره ثم أماته فأقبره. ثم إذا شاء أنشره »^(٢).
نعطف التقدير بالفاء دون ثم لأن التقدير تابع للخلق ملازم لها.

١٧٣ (١) راجع الرازى ١٤٥/٢٤ وأبا السعود ٢٤٩/٦ (٢) عيسى الآيات ١٧ - ٢٣

(١) راجع الرازى ١٤٥/٢٤ وأبا السعود ٢٤٩/٦ (٢) عيسى الآيات ١٧ - ٢٣

(١) راجع الرازى ١٤٥/٢٤ وأبا السعود ٢٤٩/٦ (٢) عيسى الآيات ١٧ - ٢٣

(١) راجع الرازى ١٤٥/٢٤ وأبا السعود ٢٤٩/٦ (٢) عيسى الآيات ١٧ - ٢٣

هوذلك بخلاف قوله « ثم السبيل يسره » لما بين الخلق وتيسير السبيل وهو الهداية من التراخي والمهلة ، وكذلك عطف الإمامة بـثم، والبعث أيضا وهو الإلغار ولما لم يكن بين الأقبار والموت مهلة جاءت الفاء^(١) وفي قوله تعالى « ثم إذا شاء أنشره » بـثم وإذا داخلة على فعل المشيئة لبيان مدة البرزخ الطويلة وأن البعث أمر محقق وإشعار بأن وقت البعث غير معلوم لنا على التعيين ولم يقل : « فقبره » لأن القابر هو الدائن بيده والمقبر هو الله تعالى يقال : قبر الميت إذا دفنه ، وأقبر الميت : إذا أمر غيره بأن يجعله في القبر^(٢)

وقول صاحب الطراز إن قوله : من نطفة خلقه من غير واء لأنها واردة على جهة التفسير لقوله : من أى شئ خلقه ؟
يعنى أنه بيان وجواب للاستفهام التقريرى^(٣)

ومما جاء من ذلك قوله تعالى من قصة هريم وعيسى عليهما السلام « فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها الخنازير إلى جذع النخلة فالت باليتنى مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا »^(٤) والفاء هنا تدل على توالى الأحداث وأن كل واحد من هذه الأحوال حصل عقيب الآخر من غير فصل وهذا يؤيد رأيا لابن عباس رضى الله عنهما أن مدة الحمل كانت ساعة واحدة

(١) راجع المثل السائر ٢٦٠/٢ والطراز ٤٣/٢ ج

(٢) راجع تفسير الرازى ٦٠/٣١ ، ونظم الدرر للبقاعي ٢١١/٢٦٢ .

(٣) راجع الكشف ٢١٩/٤ والرازى ٦٠/٣١ والبحر ٤٢٨/٨

وإبا السعود ١١٠/٩

(٤) مريم ٢٢ ، ٢٣ .

قول الرازي لأن الله تعالى قال في وصف عيسى « إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون » وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل وإنما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة .

وذكر ابن الأثير معنى ذلك ويبدو الاتفاق إلى رأى الرازي وإن لم يشر إليه وأن هذه الآية مزيلة للخلاف لأنها دلت صريحا أن الحمل والوضع كانا متقاربين على الفور من غير مهلة، وربما كان في يوم واحد أو أقل . والواضح أن الآية مرجحة لأن الخلاف وقع عند تأويلها لأن التعقيب والفور أمر نسبي ويكفي أن رأى الثانى لابن عباس أن مدة الحمل كانت تسعة أشهر لاسيما أن الانتباز في مكان قصي يقتضى وقتا وإن كان يسيرا كما رجح الرازي (١) .

ومن الأمر الثانى الذى تلبس فيه القاء بالواو ، كما ذكر ابن الأثير قوله تعالى : « ولا تطعم من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فرطا » (٢) ذلك أن الفعل أغفلنا ظاهره ملتبس بفعل المطاوعة الذى لا يعطف عليه إلا بالقاء دون الواو كقولك أعطيتك فأخذ ودعوته فأجاب إلا أن معناه يخالف لمعنى فعل المطاوعة لأن معنى أغفلنا : صادفناه غافلا وليس منقولاً عن غفل حتى يسكون معناه : صددناه لأنه لو كان كذلك لكان معطوفاً عليه بالقاء ، وقيل فاتبع هواه لكن طريقه أنه لما قال : « أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه » أن يكون معناه وجدناه غافلا فقد

(١) راجع الطبرى ٤٧/٦ والرازي ٢١/٢٠٢ والمثل السائر ٢/٢٦٧

(٢) الكهف ٢٨

غفل لا محالة فكأنه قال ولا تطلع من غفل قلبه عن ذكرنا واتبع هواه أى لا تطع من فعل كذا وكذا بمدد أنعاله التى توجب ترك طاعته (١) وتفسير ابن الأثير للفعل : أغفلنا بمعنى صادفنا لا بمعنى صدقنا وأن ظاهره خطأ وجهه وباطنه غير ذلك تكلف شديد وتحس كأنه يساور محالا . ومع أن العلوى كثير النقل عن المثل السائر ، تجاوز هذا الموضع كغيره مما لم يصل حد الانتفاع ولم يقع فيما وقع فيه بعض المؤلفين المحدثين من نقل دون تمحيص .

ومعنى أغفلنا قلبه عند المفسرين : شغلنا قلبه من الكفار الذين سألوك طرد الرهط الذين يدهون ربهم بالغداة والعشي ، أى شغلنا قلبه بالكفر عن الذكر وغلبه الشقاء واتبع هواه أى آثر هوى نفسه وترك أمر الله ونهيه وهذا عند الطبرى (٢) وعموما قال أهل السنة : معنى الإغفال : إيجاد الغفلة والضلال وخلقها فيهم إذ أفعال العبد تضاف إلى الله تعالى من حيث كونه مخلوقا لله ، وقد تضاف إلى العبد لأنه المباشرة لها المقرونة بقدرته واختياره كما يميز أهل السنة أن يكون معنى أغفلنا قلبه : تركه مغميرة أى لم نسهه بالذكر ولم نجعله من الذين كتبنا فى قلوبهم الإيمان ونسب أبو حيان هذا رأى للإمام الرامى المعتزلى وذكره فى الكشف دون نسبة وقالت المعتزلة معنى : أغفلنا : وجدناه غافلا بالخذلان والتخليية بينه وبين الأسباب المؤدية إلى الغفلة يؤيده قوله : واتبع هواه ، بالواو دون

(١) المثل السائر ٢/٢٦٣ .

(٢) راجع الطبرى ١٥/١٥٦ .

بالقاء إذ لو كان اتباع الهوى من نتيجة خلق الغفلة في القلب لقل فاتبع هواه بالقاء . ويمكن أن يجاب كما نقل النيسابوري عن الرازي ملخصا : بأنه لا يلزم ذلك إذ الملازمة بين الغفلة عن ذكر الله وبين متابعة الهوى غير تامة فقد يكون الإنسان غافلا عن الذكر متوقفا عنه دون اتباع الهوى (١) بل نلاحظ أن اتباع الهوى مصاحب لإغفال الله بمعنى الإضلال ومن ذلك يتبين أن ابن الأثير رحمه الله نقل من مناقشات الرازي ، والتقط مايتصل بالقاء والواو وكان رجلا كاتباً ناقدا بعيدا عن أفسار الفرق الإسلامية ولذا نقل فكرة الاعتزال بحسن نية . ولما أراد التحليل شاع الغموض والتكلف والتداخل في شرحه ، فمرة يجعل إغفالنا صادقا وهو تعبير جرى غريب ومرة يجعل أغفلنا المتعدي بمعنى غفل قلبه إغفالا ، لأسرار التعدي ودلالة كل فعل منهما ومناسبته لمقامه الخاص به ، والحق ما قدمنا .

والواقع أن لتنوع حروف العطف بين الآلات التشابهات شأنا وخطرا في القرآن الكريم سواء كان اختلاف الحرف في داخل الآية والنسق أم في بدنها فقد تأتي الواو في آية والفاء في مثيلتها أو الفاء في آية وثم في أختها أو تأتي الآية بالواو في نسق وبدون الواو في نسق آخر وكل أولئك في دقة معجزة وتلاؤم خارق وقصور عال لما يقتضيه المقام . وأمثل من أورد عديدا من هذه التشابهات في أسلوب دقيق دقيق الإمام الكرمانى في

(١) راجع في الآية : غرائب النيسابوري على الطبري ١٤٦/١٥ ، والكشاف ورد الانتصاف عليه ٤٨٢/٢ والبحر المحيط ١٢٠/٦ . وإبا السعود ٢١٩/٥ .

أمرار التكرار فقد أوفى على سابقه الإسكافي في حسن التعبير والدقة وكان
مصدرا للفير وزبادى والسيوطى وكثير من المفسرين .

ونزجى هذه الشواهد على ما أسلفنا . فمما تفاوتت فيه الواو والقاف
ما جاء في قول الله تعالى من سورة البقرة ٣٥ « وقلنا يا آدم اسكن أنت
وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما » بالقاء في الأعراف والواو في
البقرة إذ الفعل اسكن في البقرة من السكون الذى معناه : الإقامة وهذه
يستدعى زمنا محمدا فلم يصلح إلا بالواو لأن المعنى أجمع بين الإقامة فيها
والأكل من ثمارها .

ولو كان القاء مكان الواو لوجب تأخير الأكل إلى الفراغ من الإقامة
لأن القاء للتعقيب والترتيب ، والذى في الأعراف من السكون الذى معناه :
اتخاذ الموضع سكنا بدليل أن الله أخرج إبليس من الجنة بقوله « اخرج
منها مذموما » وحاطب آدم في الآية بعدها - ١٩ - فقال « يا آدم اسكن
أنت وزوجك الجنة » أى اتخذها لأنفسكما مسكنا (فكلما من حيث شئتما)
فكانت القاء المسكن لا يستدعى زمنا محمدا ولا يمكن الجمع بين الاتخاذ
والأكل فيه بل يقع الأكل عقبه ثم لما عظم شأن القول في البقرة ، بقوله
« وقلنا » بناء العظمة والجلالة جاء في البقرة الكلمة « رغدا » تناسبا
وتلاؤما بخلاف سورة الأعراف إذ فيها « قال » وذكر الإسكافي والرازى
أن كل فعل عطف عليه شيء ، وكان الفعل بمنزلة الشرط وذلك الشيء
بمنزلة الجزاء عطف النجى على الأول بالقاء دون الواو كقوله تعالى « وإذا
قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا » البقرة ٥٨ فعطف :

كلوا على ادخلوا بالفاء لما كان وجود الأكل منها متعلقا بدخولها فكأنه
قال : إن دخلتموها أكلم منها ، فالدخول موصل إلى الأكل ، والأكل
متعلق بوجوده بوجوده يبين ذلك قوله تعالى في مثل هذه الآية من سورة
الأعراف ١٦١ « وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم »
بالواو دون الفاء لأن اسكنوا من السكنى وهى المقام مسح طول اللبث ،
والأكل لا يختص بوجوده بوجوده لأن من دخل بستاناً قد يأكل منه وإن
كان مجازاً ، فلما لم يتعلق الثانى بالأول تعلق الجزء بالشرط وجب المطف
بالواو دون الفاء ثم إن الخطاب فى الآية الأولى « اسكن » لآدم بمدخوله
الجنة مراداً به الاستقرار والأكل يتعلق به فلا جرم ورد بلفظ الواو وفى
سورة الأعراف هذا الأمر إمعاناً ورد قبل دخوله الجنة والأكل يتعلق به
فلا جرم ورد بلفظ الفاء (١)

ومما تنزل فيه الفعل من سابقة منزلة الجزء من الشرط نطف بالفاء
قوله تعالى من سورة التوبة « وما منعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم
كفروا بالله وبرسوله ولا يأتون الصلاة إلا وهم كسالى ولا ينفقون إلا وهم
كارهون فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم » ٥٤ ، ٥٥ .

أى إن يسكن ذلك منهم فا ذكر جزاؤهم وأعان على ذلك كون الفعل
« ولا يأتون » وما بعده مستقبلاً يتضمن معنى الشرط فكان حرف الفاء
هنا أحسن موقفاً من الواو . وقد جاء بالواو فى الآية بعدها « ولا تصل على

(١) راجع فى الآيتين درة التنزيل ١٧/١١ وأسرار التكرار ٢٥ ، ٢٨
وتفسير الرازى ٤/٣ وأبنا السمود ٣/٢٢٠ .

أحد منهم مات أبداً ولا تتم على قبره إنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا
وم قاسقون ، ولا تعجبك أموالهم وأولادهم » ٨٤ ، ٨٥ لأن كفروا بلفظ
للأضى ومعناه والماضى لا يتضمن معنى الشرط ولا يقع من الميت فعل في قوله
« مات » فكان الواو أحسن . (١)

وذكر الإمام الرازى وجهاً آخر هو أن في الآية الأولى ٥٥ إنما ذكرها
بعد قوله « ولا ينفقون إلا وهم كارهون » وصفهم بكونهم كارهين للاتفاق
وإنما كرهوا ذلك الاتفاق لكونهم معجبين بكثرة الأموال فلهذا المعنى
نهاه الله عن ذلك الإعجاب بفناء التعقيب فقال « فلا تعجبك » وأما في ٨٥
فلا تعلق لهذا الكلام بما قبله فجاء بحرف الواو ويعنى الرازى بنفى التعلق
للترتب والتسبب والتعقيب ، إذ بين الآيتين تناسب قوى أوجب العطف
بين الآيتين من حيث إنهما إنشائيتان وأما منه أن الآية الأولى ٨٤ أثبتت
كفرهم وموتهم على النسق ، والآية الثانية تبين أن ما كان من أسباب
نقضهم وهو المال والولد هو في الحقيقة سبب عذابهم وتشديد الحنة عليهم
وإذا كان الخطاب مراد به كل المؤمنين مع أنه في الظاهر للنبي صلى الله عليه
وسلم ، فلذلك ليحسم أمراً هاماً هو أن الكفر يجعل كل خير في الظاهر
بلاءاً وعذاباً في الآخرة ، فلا خير مع الكفر ، وأن الإيمان هو المطلب
والناية والخير الباقي ، والدنيا إن جاءت للمؤمنين كانت في خدمة الإيمان
وتحت الأقدام لا في القلب والعين ونظيره قوله تعالى « ولا تمدن عينيك إلى
دور متعابها به أزواجاً منهم زهرة الحياة الدنيا ... الآية ٦ طه ١٣١

(١) راجع أسرار التكرار ٩٧ والرازى ٩١/١٦ ، ٨٥٥ .

وبين الآيتين ٥٤ ، ٥٥ والآيتين ٨٤ ، ٨٥ اختلافاً في التعبير
وتفاوت في بعض الألفاظ بين أسرار الكرماني والرازي .
ومثل ذلك قوله تعالى في سورة هود في قصة هود وشعيب « ولما جاء
أمرنا نجينا هوداً » « ولما جاء أمرنا نجينا شعيباً » ٩٤ ، ٥٨ وفي قصة صالح
ولوط « فلما » ٨٢ ، ٦٦ بالفاء .

ذلك أن العذاب في قصة صالح ولوط وقع عقب الوعيد فإن في قصة
صالح « تمتعوا في داركم ثلاثة أيام » ٦٥ . وفي قصة لوط : « أليس الصبح
بقریب » ٨١ فجاء حرف الفاء للتمجيل والتعقيب ، أما في قصة هود وشعيب
فقد تأخر العذاب عن وقت الوعيد فإن في قصة هود « فإن تولوا فقد أبعثكم
ما أرسلت به إليكم ويستخلف ربي قوماً غيركم » ٥٧ وفي قصة شعيب
« سوف تعلمون » ٩٣ قال الكرماني والتخويف قارنه التسويف فجاء
بالواو المهمل^(١)

وعما أخذ من العلماء اهتمامهم الاستفهام الإنكاري تارة تدخل على
الكلام مباشرة دون عاطف فاصل وتارة تدخل بعدها واو ، أو فاء ،
وبين هذه الحالات فروق دقيقة . قال الرازي مفرقاً بين قول القائل (أزيد
في الدار بعد وقد طلعت الشمس) وبين (أزيد في الدار بعد وقد طلعت
الشمس) الواو إشارة خفية لي أن قبج فعله صار بمنزلة فعلين قبيحين ،
كأنه يقول : أغفل وهو في الدار بعد ، لأن الواو تنبي عن عطف أمر
مناير لما بعدها ، وإن لم يكن هناك سابق أسكنه يومئذ . يالواو اليه ، زيادة
في الإنكار .

(١) راجع أسرار التكرار ١٠٨ .

أما الفرق في التعبير بين ما فيه الواو ، وما فيه الفاء ، كقوله تعالى :
 « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بقيناها وزيناها وما لها من فروج » ق ٦
 وقال في الأعراف ١٨٥ « أو لم ينظروا في ملكوت السموات والأرض »
 لأنه سبق منهم إنكار البعث بقولهم « ذلك رجع بعيد » ٣ في سورة ق
 فعقب على قولهم بالاستفهام الإنكارى والفاء دلتها وردا واستبعادا
 لاستبعادهم دون آية الأعراف التي لم تسبق بانكار بل جاءت الآية تنعى
 عليهم ترك النظر في الكون بعد آية توضح على ترك التفكير في شأن
 صاحبهم وأحواله صلى الله عليه وسلم ، وأنه نذير مبين « أو لم يتفكروا
 ما بضاحهم من جنة إن هو إلا نذير مبين » ١٨٤ الأعراف (١) .

ثم إن موافقة النسق هام جداً في تعيين الحرف واوا أو فاء في الآية
 « أو لم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم »
 الروم ٩ سبقت بالآية « أو لم يتفكروا في أنفسهم » ه وجاء بعدها جملة
 مطبوعة بالواو « وأقاربوا الأرض وعبروها » ٩ . موافقة لما قبلها
 وما بعدها .

وكذلك آية فاطر ٤٤ وغافر ٣١ « أو لم يسيروا في الأرض » لوقوعهما
 في نسق عطفت جملة بالواو . أما آية غافر آخر السورة « أفلم يسيروا في
 الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم » ٨٣ فقد وافقت ما قبلها
 وما بعدها وما بالفاء وهو قوله « فأتى آيات الله تنكرون » ٨١ وبعدها

« فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون »^(١) .

ثم إن المقام وراء تغاير الحرف ترتيبا وتماقبا متلاحقا بإلقاء ، وجما وسردا دون تماقب بالواو . وإذا أريد الإمهال جاءت ثم بدل الواو . وتأمل قوله تعالى : « قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد » فصلت ٥٢ .

وقوله تعالى في الأحقاف ١٠ « قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم » والتعبير إن كان من عند الله . أي القرآن أظهره في صورة الاحتمال وهو من عند الله دون شك ، منزلا معهم في الخطاب واستعداجا في الحجة . والغنى غنى آية فصلت : كان عاقبة أمركم بعد الإمهال للنظر والتدبر الكفر ، وهو كفر لا دليل عليه فحسن دخول ثم كما يقول الكرماني ويدعمه أنه عبر عنهم بقوله « من هو في شقاق بعيد » وبعد الشقاق والضلال ماسب لهذا التراخي والنهل ثم الذي يعقبه كفر بواح^(٢) تنديدا وتبكيقا .

وأما آية الأحقاف فلم تكن عاقبة أمرهم الكفر وحده بل عطف عليه « وشهد شاهد » فلم يكن للمهلة موضع لجاء بالواو . وفي الآية حذف الشرط أي أستم أضل الناس وأظلمهم أو من أضل منكم وهذا على أن الواو في « وكفرتم به » لا عطف على كان . أما إذا كانت للحال ، فالمراد بالواو مطلق الواو و ثم .

(١) راجع أسرار التكرار ١٦٦ .

(٢) راجع في اختلاف الخرف أسرار التكرار ١٩٠ وفي ضياغة الآيتين الرازي ١٣٨/٢٧ ، ٩/٢٨ والبحر ٥٠٥/٧ وأبا السعود ٨٠/٨ .

مفهوم الواو :

« الواو الماظفة في اللغة العربية للربط بين المتعاطفين والتشريك في الحكم الإعرابي على إطلاقه : أعني في مطلق الفاعلية أو المفعولية أو غيرها فتقولك : جاء زيد وبكر ، تشرك الواو بكرا مع زيد في فعل الجي . أما كون الفعل قد حدث بالتساوي بينهما أو على قدر من الاختلاف والتخاير كقوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » . « آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون » فهذا خارج عن دلالة الواو ويفهم من السياق بل إن الواو كما يقول المرحوم الدكتور أحد فؤاد الأهواني « الواو مفهوم أساسي ذهني لا وجود له خارج ذهن ، وهو من قبيل اللامعرفات »^(١) .

يريد أن فكرة الجمع والتشريك ذهنية ليس لها واقع زمني في الخارج بخلاف الفاء أو ثم ، فلهما واقع ذهني وواقع زمني وحدثي خارجاً . وقولهم إن الواو لا تفيد ترتيباً ولا تعقيباً لا يعني أبداً أنها تأتي في أساليب لا ترتيب بين أحداثها ، إذ هذا الترتيب بين الألفاظ أو الجمل في القرآن الكريم يخضع لموازن دقيقة وأسباب قوية ، إذ تقديم الكلام في اللسان على حسب تقدم المعاني في النفس والمعاني تتقدم عند السهيل - وعنه نقل الرازي - والزملكاني والمولى - بأحد خمسة أشياء : بالزمان كتقديم عاد على ثمود ، أو الطبع كثنى وثلاث ، أو الرتبة كـ « همار مشاء بنميم » ، لأن اليعاقبة

(١) راجع نتائج الفكر ٢٦٦ - ٢٧٥ وتفسير الرازي وقم جعلها ستة ٢٠٩/٢٩ ، والطراز ٥٧/٢ .

لا يحتاج إلى الحركة بخلاف الثاني، ومنه « يأتوك رجالا وعلى كل ضامر ه
أو الفضل والشرف نحو « فاعسلوا وجوهكم وأيديكم إلى المرافق » ومنه
تقديم السماء على الأرض .

وربما كان ترتيب الألفاظ بحسب الخفة والنقل كتقديم ربيعة على
مضر، مع أن مضر أفضل ، والجن على الإنس ، لأن تقديم الأثقل أولى
لفشاط المتكلم وجمامه^(١) .

وقد يجتمع أكثر من سبب ويقدم إحداها لاقتضاء المقام كقوله تعالى
عن الحور العين « لم يطعنهن إنس قبلهم ولا جان » والجن لا يتناول الملائكة
فالتقديم هنا للشرف والفضل تناسبا مع تكريم المنعمين ، ولذا فقد يتخلف
الترتيب الزمني في بعض الآيات التي جاءت فيها الواو كقوله تعالى :
« واسجدى واركنى مع الرا كين »^(٢) والركوع قبل السجود قال الزركشى
لم يقتل أن شرعهم كان مخالفا لشرعنا في ذلك وقال تعالى : « سخرها
عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما »^(٣) والأيام هنا قبل الليالي . إذ لو كانت
الليالي قبل الأيام كانت الأيام مساوية لليالي وأقل . قال الضفار « لا يصح
جمل الواو للترتيب »^(٤) .

والخسة الأسباب التي توجب التقديم تنامت عند العلامة الزركشى إلى

(٢) راجع البرهان ٤/٤٣٦

(١) آل عمران ٤٣

(٤) راجع البرهان ٤/٤٣٦

(٣) الحاقة ٧

لأنها لا بلاغة فيها ، فالبلاغة بين للفردات - كما يرى السيد والمصام - كالبلغة بين الجمل^(١) . بل لأن أمرها - في الأغلب - واضح غير مشكل . والعلماء يقولون إن معرفة الفصل والوصل فن عظيم ، صعب المسلك ، دقيق المجرى ، عظيم الخطر لا يعرفه على وجهه ولا يحيط به علما إلا من أوتي - في فهم كلام العرب - طبعاً سليماً ورزق - في إدراك أسبابه - ذوقاً صحيحاً ، ولذا قصر بعض العلماء والبلغاء - على جهة المبالغة - البلاغة على معرفة مواطن الفصل والوصل .

وقد سار على درب الإمام ، الخطيب القزويني وشروح التلخيص^(٢) . وفي المقابل وجدنا حشداً من العلماء يعالج الفصل والوصل بين المفردات والجمل بالواو وغيرها من حروف العطف ، ذلك أن الأجيال المتأخرة من أبناء العربية لم يعد لهم ذوق اللغة وعبقريتها إلا شذرات لاتفي غناء في التعرف على أدب أو شعر أو فكر أو ما يهذب الروح ويشذب العقل .

ومن هنا وجدنا السكاكي وابن الأثير والسمهلي والزمكاني والعلوي والزرکشي والسموطي ، ثم وجدنا المفسرين سابقين إلى التعرف على أسرار الوصل والفصل بين المفردات والجمل في النسخ القرآني - حسب الطاقة - وقد أوفى على الغاية الإمام الرازي وعنه أخذ النيسابوري وأبو السمود والبيضاوي والبقاعي بل حارلوا مع علماء المشابه وأشهرهم الإسكافي والكرماني والرازي أيضاً يهاتفون في الاهتمام بتغير الحروف في النسخ المتشابهة ، كما وضعنا في الشواهد السابقة .

(١) - راجع الاطول ٢/٢ .

(٢) - راجع بغية الايضاح ٦٢/٢ وشروح التلخيص ٦/٣ .

وإن تعجب فعجب أن يقول بعض المؤلفين في هذا الصدد « شغلت
البلاغة العربية بتحليل أساليب العطف في إطار من قضية عطف الجمل »
وانصرفت بذلك في صيغتها الجرجانية الشهيرة التي سيطرت على التفكير
البلاغي حتى العصر الحديث عن عطف المفردات » ويقول :

« أول ما يلفت النظر في تحليل البلاغيين لأساليب العطف هو اهتمامهم
بعطف الجمل دون عطف المفردات » « وبذلك سقط موضوع أساسى من
مباحث البلاغة العربية هو مبحث عطف المفردات » ، وبعد أن لام كثيرا
من المفسرين وأشاد ببعضهم كابن جزى السكلي حين تنبه إلى دقائق عالية
من بلاغة العطف في بعض الآيات « نكتفى بقول هذه الأتية مفرد
الأثافي يقول « إن المناسبة الوحيدة — فيما أعلم — والجيدة — فيما أظن —
التي تناول فيها يحيى العلوى اليمنى صاحب كتاب « الطراز » في القرن
الثامن الهجرى فكرة عطف المفرد — استبدرا كما على ما ذهبت إليه البلاغة
العربية من الالتفات عن موضوع عطف المفردات — تعود — متأثرة بمنهج
البلاغيين في باب الفصل والوصل — فتبحث علاقة المفردات على هذا
الأساس الجرجانى » ، ثم ينقل ما ذكره الأمام العلوى في عطف الصفات
الإلهية وفصلها ^(١) . وما أخذنا على ما نقلناه من كلامه كأثرة نكتفى بإيراد بعض
منها متجاوزين عن الأخطاء الأسلوبية :

١ — تعميمه الحركى على البلاغة العربية بأنها شغلت بعطف الجمل يعنى
أن لا محل لها دون عطف المفردات تجاوز خاطئ وإطلاق حائر وكان

(١) راجع « بلاغة العطف في القرآن الكريم : دراسة أسلوبية »
د. عفت الشرقاوى ٩٦ ، ٩٧ ، ١٠٤ ، ١٢٨ .

ينبغي أن يعود إلى المفتاح والمثل السائر ونتائج الفكر والبيان لازمة كافي
بله الحواتي والتقارير كتقرير الامباري .

٢ — جار على المفسرين أيضا وأنصف ابن السكبي وتفسيره موجز
جدا في أربعة مجلدات وأغفل عمالة التفسير المهتمين بفكرة القناسب
كالرازي والنيسابوري والبقاعي .

كما ضرب صفحا عن المؤلفات الشاخنة في علوم القرآن وأشهرها البرهان
للزركشي والاتقان ومعتك الأقران للسيوطي .

٣ — يقدم لنا الطراز العلوي في شكل اكتشاف خارق وافتاء وقور
واستعلاء مقواضع « المناسبة الوحيدة - فيما أعلم - والجيدة - فيما أظن - »
« وتأمل هذه الاعتراضات الكثيرة » التي تناول - (وتأمل للفصل التعسفي
بين الصفة) التي - والموصوف - المناسبة) فيها يحكي العلوي البيهني صاحب كتاب
الطراز في القرن الثامن الهجري فكرة عطف المفرد « إنه أشبه باكتشاف
وأبناؤنا الطلاب يملكون حق العلم أن العلوي - رحمه الله - نقل حرفا حرفا
عن الزمكاني وهو نقل حرفا حرفا عن السهيلي في نتائج الفكر ، وأن
هذا الموضوع قد استفاض في كتب المفسرين تجدده بتوضيح أكثر عند
الامام الرازي ، ثم من بعده كافي السفود والبيهضاوي والشهاب الخفاجي ،
وبما كان على المؤلف - غفر الله له - لو راجع بعضا من مصادر التراث
قبل هجومه العنيف المتجانف ، وإليك كلمة في الفصل والوصل بين
الصفات ، من المتعالم أن الواو تفيد المفايرة بين المتعاطفين تحميقا أو تنزيلا

إذ لا يعطى الشيء على نفسه ، وتفيد أيضا : الجمع والتشريك في الحكم
فما له محل إعرابي وفي الصفات في القرآن قد تعطف صفة على أخرى ،
أو تعطف مجموعة من الصفات على مجموعة أخرى . وقد تتوالى دون
عطف^(١) :

صفات الله تعالى :

وصفات الله تعالى جاءت غالبا متوالية مفصولة دون عطف لاتحاد محلها
فهي تجرى مجرى الأسماء المتقاربة إشارة إلى وحدتها ودالاتها على الذات
التي لا تتعدد .

فالصفة تجرى معنا مجرى الموصوف قال تعالى : « الحمد لله رب العالمين ،
الرحمن الرحيم ، مالك يوم الدين »^(٢) « هو الذي لا إله إلا هو عالم الغيب
والشهادة هو الرحمن الرحيم هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس
السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحانه الله عما يشركون ...
الآيات »^(٣) .

(١) راجع في عطف المفردات - مع اختلاف المناهج - المثل السابق
٢٥٩/٢ والمفتاح ٢٤٩ ونتائج الفكر ٢٣٨ - ٢٦١ والطراز ٣٢/٢ والايضاح
٢٤٦ وتقرير الامباني ١٩١/٣ والبرهان ٤٣٩/٤
والكشف والرازي والبحر وأبا السعود والشهاب في آيات الصفات
« المتوالية بالواو وبدونها كما سببنا » .

(٢) الفاتحة ٢ - ٥ .

(٣) الحشر ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ .

« يسبح لله مافى السموات ومافى الأرض الملك القدوس العزيز الحكيم »^(١).

وهذه الصفات متسلسلة متسقة لا تخالف بين دلالاتها أو متعلقاتها، ولذا لم تأت الواو فى معرض أسماء الله الحسنى إلا فى موطنين - حسب علمنا - قوله تعالى : « هو الأول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شئ عليم »^(٢) وهى أسماء متضادة المعنى فى أصل وضعها لا تجتمع فى ذات واحدة من وجهة واحدة لأن الشئ الواحد لا يكون ظاهرا وباطنا من وجه واحد مثلا ، رفعا للتناقض وتنبیها على اختلاف الجهة . فكان دخول الواو صرفا لوجه المخاطب - قبل التأمل - عن توهم المحال واجتماع الأضداد^(٣).

وقال الله تعالى أول غافر : « حم تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذى الطول لإله إلا هو إليه المصير » ١ - ٣

فما سقط منه الواو لاجتماع الصفات والتقاءها فى موصوف واحد وتمدادها ، أما الواو بين « غافر الذنب وقابل التوب » فهى لإفادة الجمع للذنب القائب بين رحمتين بين أن تقبل توبته فتكتب له طاعة ، وأن يحطها بحاة الذنوب كأنه لم يذنب ، كما فى الكشف وقال السهيلي لكونهما

(١) الجمعة ١

(٢) الجديد ٣

(٣) راجع : الكشف ٦١/٤ ونتائج الفكر ٢٤٠ والبحر المحیط ٢١٧/٨ وأبا السعود ٢٠٤/٨ والطراز ٣٠٥/٢ وتقرير الاميان ٢٠٩١/٢ ٧١

عن صفات الأفعال ، وفعله سبحانه في غيره لأفنى نفسه فدخل حرف العطف
للتغايرة الصحيحة بين المعنيين وانتمزلهما منزلة الجملين لأنه سبحانه يفبه
العباد على أنه يفعل هذا ويقبل هذا ليرجوه ويؤمله ، وقد جمع العلوي بين
الرأيين . أعنى الزمخشري والسهيلي ^(١) .

ووضح الرازي فكرة التغاير بأنه لو لم يذكر الواو لاحتمال أن يقع في
خاطر إنسان أنه لا معنى لكونه غافر الذنب إلا كونه قابل التوب فلما ذكر
الواو زال هذا الاحتمال ، لأن عطف الشيء على نفسه محال وزاد أبو السعود
تعليلاً آخر هو تغاير موقع الفعلين لأن الفجر هو المستر مع بقاء الذنب ولذلك
لم يبق فإن الثائب من الذنب كن لا ذنب له أما شديد العقاب ذي الطول
فقد سقطت الواو إشاراً باستقلال الصفات واجتماعها من غير جامع كما يرى
الشهاب والامباني .

ورأى الكشف بافادة الجمع بين رحمتين أظهر لأن الوصفين بما لجان
فكرة واحدة أو صفة شاملة هي رحمة الله الواسعة ثناء عليه تعالى وحناء
على التوبة وقد تقدمت صفة الرحمة على مقابلتها شديد العقاب مع ما فيه من
تحذير وترهيب إشارة إلى سعة رحمة وأنها سبقت غضبه ^(٢) ثم إن شدة
العقاب راجعة إلى معنى القوة والقدرة وهو معنى خارج عن صفات الفعل
فصار بمنزلة ما تقدم في الآية الأولى « العزيز السليم » تلاوفاً وكذلك

(١) راجع الكشف ٤١٣/٣ ونتائج الفكر ٢٤٠ والطراز ٣٦/٢ - ٣٧.

(٢) راجع تفسير الرازي ٢٧/٢٨ - ٢٩ وأبوالسعود ٧/٢٦٥ والشهاب

٣٥٧/٧ وتحرير الامباني ٣/١٩٢ .

قوله « ذى الطول » لأن « ذى » عبارة عن ذاته سبحانه^(١).

في الصفات البشرية :

فالصفات البشرية جاءت أيضا بالواو وبدونها قال تعالى : « الذين يقولون ربنا إننا آمنّا فأغفر لنا ذنوبنا وقبأ عذاب النار الصابرين والصادقين والقانتين والمتقين والمستغفرين بالأسحار » آل عمران ١٦ ، ١٧ وقال تعالى « إن المسلمين والمسلمات والمؤمنين والمؤمنات والقانتين والقانتات » الآية ٣٥ الأحزاب .

كما جاءت الصفات بتواليه دون الواو في نحو قوله تعالى : « فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف ، والناهون عن المنكر ، والحافظون لحدود الله وبشر المؤمنين » التوبة ١١٢ .

وقال تعالى « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن مسلمات مؤمنات قانتات تائبات عابدات سائحات ثيبات وأبكاراً » التحريم . وجاءت الواو بين الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر - فى آية التوبة - دلالة على أن المتعاطفين بمنزلة خصلة واحدة ثم للتباين بين الأمر والنهي فحسن المطف^(٢) ، وألمح الرازى إلى معنى للشبهة والجهاد فى الأمر والنهي وتعلقهما بالغير وما يترتب على ذلك نفسيا وسلوكيا فأدخل الواو للتنبيه على

(١) راجع نتائج الفكر ٢٤٠ .

(٢) راجع البحر ١٠٤/٥ وإيا السعود ١٠٧/٤ .

ذلك . أما قوله والحاظون لحدود الله أي فيما وضعه الله من الحقائق والشرائع حفظاً وعملاً ودعوة ، فالمعطف لبيان استقلالهم بالصفة ولو فصل لتوهم اختصاص الحفظ للحدود بالنهي عن المنكر وهو غير مراد^(١) وكذلك جاءت الواو بين ثيبات وأبكاراً للغاير بينهما^(٢) قال الشهاب جاءت الواو الواصلة هنا دون الواو الفاصلة لأنه من وصف الكل بصفة البعض يعني أزواجاً ببعضهن ثيبات ، وبعضهن أبكاراً^(٣) .

أما الآيات الأولى التي جاءت فيها الواو بين الصفات فانتباين كل صفة من صفة ، إذ ليست في معنى واحد فنزل تغاير الصفات منزلة تغاير الذات وقد رأى في الكشف أن الواو هنا تدل على كمالهم في كل واحدة منهم ورده أبو حيان كما سمي تلك الواو في موطن آخر واو الجمع^(٤) .

ومن الواضح أن توالي الصفات في بعض الآيات ، دون عاطف ، قصداً إلى اجتماع هذه الصفات والتعاضد في موصوف واحد ، دون قصد إلى الاستقلال في الصفة^(٥) .

(١) تفسيره : ٢٠٥/١٦ .

(٢) أبنا السعود ٤٦٨/٩ .

(٣) راجع الشهاب ٢١٣/٨ والبرهان ٤٣٩/٤ وتقرير الامباين ١٩١/٣ .

(٤) راجع الكشف ٤١٧/١ ، ٢٦١/٣ والبحر ٢٠٠/٤ وأيا السعود ١٠٤/٧ ، ١٦/٢ .

(٥) راجع البحر ١٠٤/٥ وأبا السعود ١٠٧/٤ ، ٢٦٨/٩ وحاشية الشهاب ٣٥٧/٧ ، ٢١٣/٨ ، ٢٠٧/٧ .

و خلاصة القول عند العلماء أن العطف يكون ضروريا في الاختلاف البين
الذى لا يمكن معه الاجتماع دون عاطف كاختلاف الجنس في المؤمنين
والمؤمنات وتقابل الدلالة بالتضاد كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر «ثببات
وأبكارا» أو تقوم معنى غير مراد لوسط ط الو او كافي «والحافظون لحد الله»
وفي غير ذلك جاءت الصفات بالواو وبدونها^(١) لكن السؤال بعد كل ذلك :
ما تفسير هذه الظاهرة ؟ وكيف يكون اجتماع الصفات سببا عندهم في ذكر الواو
وحذفها على السواء ؟ أعني ما الأسرار الفنية البلاغية السكامنة وراء الذكر
أو الحذف والمقتضيات الموجبة لذلك ؟

الواقع أننا وجدنا الأعم الأغلب في نسق الصفات هو ذكر الواو إذا لم يمنع مانع وهذا هو الأصل . نجد ذلك في آثار الصفات الإلهية كقوله تعالى « قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير » ٢٦ ، ٢٧ آل عمران « الذي خلقني فهو يهدين ، والذي هو يطعمني ويسقين وإذا مرضت فهو يشفين »

الآيات ٧٨ - ٨١ الشعراء .

ومن صفات الرسول صلى الله عليه وسلم « إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا
ونذيرا » وداعيا إلى الله بإذنه وصراجا مضيئا » الأحزاب ٤٥ ، ٤٦ . وهي
صفات خاصة بالنبي الكريم لا ترقى إليها صفات المؤمنين وكثير من الصفات
على هذا النهج سواء كان الموصوف مؤمنا أم غيره ، مدح أم ذم أم وصفا
دنيا أم أخرى وذلك كثير جاء على الأصل . اسكننا لاحظنا أنه في اللغات

(۶) راجع الرازی ۱۶/۱۳۸۵ هـ و البحر ۵/۱۱۰۴ هـ و ایام وصال (۶)

القوية التي تقتضي كال المدح أو كال الذم أو غيرها اجتمعت الصفات دون
عاطف لا اتحاد محلها وبشيء من الموازنات يمكن تبين الطريق .
فآية الأحزاب : « إن المسلمين والمسلمات ... » جاءت إثر آيات
تتعلق بنساء النبي صلى الله عليه وسلم تأمرهن وتنهين ، وسبب نزول الآية
أن نساء النبي صلى الله عليه وسلم قلن : يا رسول الله : ذكر الله الرجال
في القرآن ولم يذكرنا .

ولما نزل في نساء النبي ما نزل قال نساء المسلمين : فما نزل فينا شيء .
فنزلات الآية توضح عشر مراتب من الإسلام إلى قوله « والذاكرين الله
كثيرا والذاكرات » (١) وجاءت الواو بين الجنسين لزوماً لاختلافهما كما
جاءت في عطف الزوجين على الزوجين بيانا لاستقلال الصفة . أما آية
التحريم فقد حاثب الله فيها نساء النبي صلى الله عليه وسلم بقيادة عائشة
وحفصة رضي الله عنهما ، وتهذبن - مع ما هن من فضل ومكانة -
أن يبده الله خيرا منهن « عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا
منكن مسلمات مومنات قانتات تاميات عابدات سائحات ثيبات وأبكارا »
فهنا خيرية عالية تفوق في الصفات من اختارهن الله زوجات كالمات طير
الرسول ، قوة في الصفات وعلا في مدح النساء فكان المناسب ترك الواو
دلالة على التلزام واجتماع الصفات وتوحيدها في الموصوفات . وهي صفات
عالية منها صفة خاصة هي السياحة التي لم تذكر إلا في هذه الآية وآية

(١) راجع الرازي ٢٥/٢١٧ والبيهقي ٢٩٤/٢ .

السكلة من المؤمنين^(١) « التائبون العابدون ... » التوبة ١١٢ وهي آية لم تذكر فيها الواو أيضاً. وهذا من عجب شأن القرآن وتناسبه . والسياسة حصة مدح للصالحين ، قال الزمخشري شبهوا بذوى السياحة في الأرض في امتناعهم من شهواتهم^(٢) والواقع أن التعمير لإيجارات مديدة هي سياحات في عالم الروح والقلب والتفكير في السكون والإيمان : سياحة في الزمان وسفر بالفكر في الأكوان ذكرًا وشكرًا ورقياً وتقرُّباً .

وآية السكلة الذين اشترى الله أنفسهم بأموالهم بأن لهم الجنة « إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر والحافظون لحدود الله ويشر المؤمنون^(٣) » وتلاحظ في هؤلاء المؤمنين من خلال الآيتين :

١ - التعبير عن الاستشهاد وبذل المال في سبيل الله بأنه تعاقد طرفاه الله بلفظ الجلالة والمؤمنون استبدالا بالأنفس والأموال جنة خالدة .

٢ - جملة الاعتراض « ومن أوفى بعهده من الله » بهذا الاستفهام

(١) المعجم المفهرس ٣٧٤ .

(٢) الكشف ٢/٢١٦ والرازي ١٦/٢٠٥ .

(٣) التوبة ١١٢

والواوات المدودة في المقطع الرابع وختام الأوصاف بالنون وتوالت ذلك
في الصفات دون واو في سبع منها بهذا الإيقاع الجليل المعبر عن شموهم
ومقامهم ولذا أمر الله نبيه الأسوة أن يبشرهم وهم صحابته ومن كان على قدمهم
بقوله « وبشر المؤمنين » ختام الآية بإظهار وصفهم دون ضميرهم إشادة
بهم ، وبأنهم وصلوا إلى درجة الكمال في الإيمان ، كما حذف المبتدئة
إما لسبقة وهو الجزاء بالجنة وإما للايذان بأنه — بعد هذه الصفات —
خارج للجلال، وعظمته عن حد البيان .

وعلى هذا فبقيا جاز فيه ذكر الواو وتركها تركت الواو لمقتضى المقام
وهذا وترغيبا . فيما لزم في الواو من التقابل بين الأمر والنهي أو دفع
وهم غير مراد لو حذف لزم الواو اقتضاء لقولا بلاغيا .

وقد سبق تعليل الرازي في أن ما كان من الصفات عبادات يأتي بها
الإنسان لنفسه لا تأتي الواو أما النهي عن المنكر فعبادة متعلقة بالغير
وهذا النهي يوجب ثوران الغضب وظهور الخصومة فكان النهي عن
المنكر أصعب أقسام العبادات والطاعات فأدخل عليها الواو تنبيها على
ما يحصل فيها من زيادة المشقة والحنة .

وعلى كل فإذا كان المؤمنون طوائف فهذه الطائفة أعلى رتبة ومقاما
من الذين اتقوا عند ربهم في آية آل عمران ١٥ ومن آية الأحزاب ٧٠
وإنما أمل تفردهم هنا في التوبة بصفة الحمد « الحمدون » وجهاد الأمر بالمعروف
والنهي عن المنكر ، ثم حفظهم لحدود الله على الإطلاق وهي أهم من حفظ
المفروج في آية الأحزاب والحافظين فروجهم والحافظات » ثم جمع لهم

من الصلاة أشرف أركانها الركوع والسجود. انتهى لزومهم لذلك حتى صار
وصفا لهم .

ومن يحيى الصفات متوالية دون عاطف مديحاً وتزكية للنبي صلى الله
عليه وسلم الإمتان آخر التوبة « لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه
ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم » ١٣٨ جمع الصفات بدون
جامع لإتجاهها فيه فهو صلى الله عليه وسلم منبع كل كمال بشري وتكمل
كيف أجرى عليه الوصفين « رؤوف رحيم » وما لهما من فيض نوراني
شفيف .

الوليد بن المغيرة وصفات الذم :

وصفات الذم تأتي غالباً بالوار كقوله تعالى « إن الذين أجمعوا كانوا
من الذين آمنوا يضحكون وإذا مروا بهم يتغامزون ، وإذا انقلبوا إلى أهلهم
انقلبوا فكهين وإذا رأوهم قالوا إن هؤلاء لضالون » المطففين ٢٩ - ٣٣
« إلا أصحاب اليمين في جنات يتساءلون عن المجرمين ما سلككم في
سقر قالوا لم نك من المصلين ولم نك نطعم المسكين ، وكنا نخوض مع
الخنائين وكنا نكذب بيوم الدين حتى أتانا اليقين » المدثر ٣١ - ٤٨
« المنافقون والمنافقات بعضهم من بعض وأمرهم بالمدح والثناء فمنهم
المعروف ويقبضون أيديهم نسوا الله أنفسهم » التوبة ٦٧

(١) راجع في آيتي التوبة : الكشف ٢/٢١٦ والرازي ١٦/٢٠٢
وجا بعدها والبحر ٥/١٠٤ وأبا السعود ٤/١٠٦ وأسرار التكرار ٩٩٠

ويمكن أن نجد في المصحف حشداً من صفات الكافرين والمنافقين وأعداء
الآديان والإسلام ، لكن موقف القرآن الكريم من الوليد بن المغيرة كان
مثيراً ، قال ابن قتيبة « لا نعلم أن الله تعالى وصف أحداً ولا ذكر من عيوبه
ما ذكر من عيوب الوليد بن المغيرة لأنه مع سنه وحكمته ورؤاسته وشرفه
وعقله رأى الهدى فصدف عنه وأبصر النور ففشى بصره فضل وأضل »
وقال في القرآن الكريم الكلمة السوأى « إن هذا إلا سحر يؤثر » .

وتأمل هذه الميامم الخالدة الرهيبة صدقا في الوصف وكشفاً للمسوار
وإبلاغا في الذم « ولا تطع كل حلاف مهين هماز مشاء بنميم مناع للخير
معتد أئيم عتل بعد ذلك زنيم ، أن كان ذا مال وبنين إذا تولى عليه آياته
قال أساطير الأولين سنسمة على الخرطوم » القلم ١٠ — ١٧ .

أجل رسم على خرطومه حسيا ومعنوطا وسما خالدا أبدا الدهر ، وتأمل
مدح الله فإنه زين وذمه فهو شين كما قال النبي الكريم صلى الله عليه وسلم
لوفد بني تميم ردا عليهم (١) وتأمل ذم القرآن لأثم جميل وكيف أخذ الغضب
والحق منها كل مأخذ بوصف نافذ مضم .

والصفات في الوليد تتوالى شديدة هائلة صائمة يضيف كل وصف لبننة
في صرح الشر والعار ، فهو مجمع ردائل . ومن عجب أن تكثر حروف الدلالة
وبخاصة النون والميم وكذلك التثنية سرعة في الإيقاع وموالاتة في الهمز
سياط عذاب قارية لا ألفاظ وحروف .

ومثله في الوليد أيضا قول الله تعالى « ألقيا في جهنم كل كفار عنيد

(١) راجع اعجاز القرآن للرافعي ٣١٣ ج

جناح للخير معتد مريب الذى جعل مع الله إلهها آخر وألقياه فى العذاب الشديد»
ق ٢٥ ، ٢٦ . والوليد يدخل هو ومن على شاكلته وعقوه فى الكفر تحت
المعوم فى كل وتأمل الغضب المتوقد فى الأسلوب والأمر الراعد بدء صفاته
« ألقيا فى جهنم » وهى صفات خلقية ونفسية هابطة رذلة تنتهى بالكفر
الصريح فى أسلوب يفجر التناقض بالجمع بين الله الجليل بصفات جلاله وكاله
وبين إله آخر بالتهكير المحقر ولذا كرر الأمر « ألقياه فى العذاب الشديد »
نهاية الغضب والامتهان ، فالكافر يلقى إلقاء كشيء مهمل تافه مستقذر ،
والغضب والتحقير والتهكم يسرى فى نسج الآيات فى ق والقلم .

نخلص إلى القول بأن الصفات تأتى متوالية مجمعة دون عاطف فى القرآن
والمقامات الخاصة التى تقتضى الكمال فى الوصف مدحا أو ذما .

أما صفات الله تعالى فالأغلب إتيانها متوالية دون عاطف إلا ما اقتضى
الوضع اللغوى من عطف المتعارفات أو المتقابلات .

عطف المتعارفات دلالة :

لما كان الأصل فى العطف ألا يعطف الشيء على نفسه وإنما يعطف على
غيره لأن حروف العطف بمنزلة تكرار العامل ويلزمه تغاير المعبول ، كان
عطف المتعارفات فى الدلالة معنى زائد حتى فى اللفظ الثانى ، فيشبه تغاير
اللفظين بتغاير المعنيين ، فيعطف أحدهما على الآخر (١) .

(١) راجع فى آيات القلم وق : الرازى ١٦٥/٢٨ ، ٨٣/٣٠ ونظم
الدرر ٣٠١/٢ وأبا السعود ١٣١/٨ .

(٢) راجع نتائج الفكر ٢٣٨ .

١١٧٠

وقد عد الزركشى وتبعة السيوطى هذه المقاربات من المترادفات أو ما هو قريب منه فى المعنى ، والعطف بينها للتأكيد ، كقوله تعالى : « إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله » يوسف ٨٦ « ومن يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلماً ولا هضماً » طه ١١٢ « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادى فاضرب لهم طريقاً فى البحر يبساً لا يخاف دركاً ولا تخشى » طه ٧٧ « إن ربنا لغفور شكور الذى أحلنا دار المقامة من فضله لا يمسنا فيها نصب ولا يمسنا فيها لغوب » فاطر ٣٥^(١) .

وكثير من العلماء على أنها ليست من المترادف لاختلاف البنية والمعنى تبعاً ، وقد أنكر المبرد والعسكرى وكثير غيرها المترادف هذا ، إذ لا يعطف الشئ على نفسه ، وإذا كان فيه مجال للاخذ والرد فى اللغة لاتساعها وكثرة لهجاتها ، فهو فى القرآن مرفوض تماماً ، فالبث يختلف عن الحزن ، والظلم عن الهضم ، والخوف عن الخشية ، لأن لكل كلمة دلالة خاصة من واقع استعمالها القرآنية ، وهو أمر اهتم به الراغب فى مفرداته والعسكرى فى فروقه وقدمت فيه الدكتوراة بنت الشاطىء بحثاً طيباً^(٢) .

والمرروف عند علماء البلاغة والنحو أن العطف ذاته دال على التغاير . قال سيد شريف : أداة العطف إن توسطت بين الذات اقتضت تغايراً بالذات وإن توسطت بين الصفات اقتضت تغايراً فى المفهوم^(٣) . بل

(١) راجع البرهان ٤٧٢/٢ .

(٢) راجع الاعجاز البيانى ٢٠٩ .

(٣) حاشية السيد على التفسير ١٣٣/١ .

ما ذكره العلماء أيضا حول عطف المكرر ، أو الجمل المؤكدة ، وإن أحدث لفظاً أو تقاربت من أن العطف فيها — إن لم يمكن حملها على التغاير الحقيقي وهو كثير فيها — تحمل على انتفاير التنزيلي تنزيلاً للتغاير بين الذاتين بوجه خطابي كقوله تعالى « يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » .

وقوله تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لقد واتقوا الله » الحشر « ١٨ » وعلى ذلك الزمخشري والرازي وأبو حيان والسبكي والشهاب وعديد سواهم ^(١) « سنبسط فيه القول في كمال الاتصال إن شاء الله » .

الواو بين التشريك والربط :

والواو قد تكون عاطفة بين المفردات أو الجمل التي لها محل من الأعراب وتفيد التشريك في الأعراب وفي مطلق الحكم أما الواو التي تأتي بين الجمل التي لا محل لها من الأعراب فلا تفيد مشاركة في الإعراب ولا في الحكم بل تأتي لمجرد الربط ، وقد أطلق عليها بعضهم واو الاستئناف والمقطع والابتداء .

والظاهر أنها عاطفة لمجرد الربط كما ذكر الزركشي كقوله تعالى : « ثم قضى أجلاً وأجل مسمى عنده » الأنعام ٢ وهي جملة اسمية . وقوله

(١) راجع من ذلك : الكشف ٤٢٩/١ ، ٨٦/٤ ، والبحر ٤٥٦/٢ .
٢٥٠/٨ ، وشروح التلخيص ٨٨/٣ وحاشية الشهاب ٩٠/٨ .

تعالى : « لنبين لسكم ونقرر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى » الطج ٥ ،
وقوله تعالى : « هل تعلم له سميا ويقول الإنسان إنذا ماتت لسوف أخرج
حياً » مريم ٦٥ ، ٦٦ وما جاءت فيه من الجمل التي لا محل لها من الاعراب
في القرآن لا تحصى عدا (١) .

وقول الزركشى لمجرد الربط ينبغي أن يضم إليه مع وجود الجامع
واللتلازم ليسكون الأسلوب — وهو كذلك — بلاغيا فنيا . وعلى هذا
فيثورة صاحب (بلاغة العطف في القرآن) على علماء النحو والبلاغة
والنفسير ، لأنهم جعلوا الواو للتشريك في الحكم ، فقد في غير محله ،
إذ لا تشريك في الجمل التي لا محل لها وهي أساس باب الوصل عند
عبد القاهر .

على أن فكرة التشريك إنما هي في مطلق ذلك التشريك أعنى التشريك في
أصل الوصف في عطف المفردات نحو : الله ورسوله أعلم فهو تشريك في مفهوم
العالم لا خصوصه ، إذ من البدعيات تفاوت العلين بل استمداد علم الرسول
من علم الله . على أن هذا الأسلوب ونحوه إنما ذكر فيه لفظ الجلالة للتأييد
والتشريف كقوله تعالى : « والله ورسوله أحق أن يرضوه » .

وفي الآية الكريمة من سورة الأنعام ٥٥ بعد تقدم دلائل التوحيد
والنبوة وصحة القضاء والقدر يقول الله تعالى : « وكذلك نفصل الآيات
ولتستبين سبيل المجرمين » أي كما فصلنا في هذه السورة دلائلنا على صحة

(١) راجع البرهان ٤/ ٤٣٧ .

«التوحيد والعبادة وصفات الله تعالى فكذلك نميز ونفصل دلائلنا وحججنا في تقرير كل حق ينكره أهل الباطل .

لكن ماعلة هذا التفصيل وأسبابه ؟ تأتي الجملة التالية : « ولتستبين سبيل الجرمين » قال الرازي عطف على المعنى كأنه قيل ليظهر الحق وليظهر سبيل الجرمين والمؤمنين : وذكر الجرمين لأن الضدين إذا كانا بحيث لا واسطة بينهما فتى بانت خاصية أحد القسمين بانت خاصية القسم الآخر والحق والباطل لا واسطة بينهما . وحكى أبو حيان أنه لا حذف في « سبيل المجرمين » لأنهم الذين أثاروا ما تقدم من الأقوال الكافرة وهم أهم في هذا الموضع ، لأن الآيات ترد عليهم : وحين نأني إلى الإعراب التفصيلي سنجد أن اللام في (لتستبين) : لام كي تفيد التعليل ، والفعل منصوب بأن بعدها واللام والمصدر المنسبك من أن والفعل لا بد أن يكون له متعلق ، هذا المتعلق محذوف ، أي : لتبين لكم ولتستبين سبيل الجرمين ، وهو تقدير الكوفيين كما ذكر أبو حيان . أو ليظهر الحق كما بين الرازي . أو يقدر متأخر ، أي ولتستبين سبيل الجرمين فصلنا ذلك التفصيل وهو ما اقتصر عليه في الكشف ، فكأنه في الجملة ا كتماء بحذف الفعل لتقدم نظيره ، وهو كثير في القرآن (١) .

ولجوء العلماء إلى التقدير لأمرين : الأول أن الجار والمجرور تقدير لا بد له من متعلق . ثانياً أن تفصيل الآيات المعجزة من دلائل التوحيد

(١) راجع في الآية الطبري ١٣٤/٧ والكشاف ٢٣/٢ والرازي ٦/١٣ ،
والبحر ١٤١/٤ والنيسابوري ١٥٦/٧ وأبنا السعودي ١٤١/٣ .

كأثار الصفات المبنوثة في الآفاق والأنفس وصحة النبوة وقهر الله وقدره كل ذلك وقد استغرق جملة من الآلات لا يتوقف تفصيله على إبانة طريق المجرمين فحسب بل لظهور الحق كما ذكر الطبري وأبو السعود ، وهداية المؤمنين ودرسم منهج في الاستدلال بالكون على المسكون والدعوة إلى التأمل وغير ذلك هديد من الأسرار . وهذا ما ألبأ العلماء إلى القول بالحذف والإيجاز الذي بنى عليه القرآن . وعلى هذا فقول صاحب بلاغة العطف إن حيل التقدير لا تختص عند النحويين بباب دون باب فهي لا تقتصر على أساليب الشرط لأن كل مانطق بالمطلق أى خرج على النمط النحوى المقرر كان يشد إليه شدا بتقدير محذوف أو مضاف هنا أو هنالك . وهكذا فعلوا في باب العطف ، فحين عز عليهم تحقيق معنى التشريك الذى أصروا عليه بين الفعل (تفعل) و (لتستعين) لجأوا إلى القول بالتقدير كما ذكروا ثم يقول « وهذه المجاهدة التقديرية من جانب النحاة في هذه الآية إنما يحول التعبير فيها إلى تعبير نمطى عادى ، وتفقدها ما ترى إليه في صورتها البلاغية للمعجزة حيث تربط ربطا مباشرا بين التفصيل واستبانة السبيل وكأن هذا التفصيل من الشمول والوضوح بحيث يؤدى بالتقارن إلى رتبة الاستبانة الكاملة » ^(١) وتلحظ معى :

أولا : أنه أطلق استبانة السبيل مع أن السبيل مقيد بالمجرمين ولذلك فإدخال التقارن هنا لا معنى له .

ثانيا : يهاجم المؤلف علماء العربية لأنهم قالوا بالحذف والتقدير ويرى
أنه لا حذف ولا تقدير نفسا لكل قوانين العربية .

ثالثا : نقلت عنه قوله : « إن حيل المتقدير ... الخ » ، وهذا أفتوب .
لا يليق بعلماء التراث أولئك الذين كانوا قما في العلم والذكاء
والإفادة .

رابعا : يرى المؤلف أن أساليب الشرط التي حذف فيها جواب الشرط
كما يقول العلماء من نحو قوله تعالى : « ولو أن قرآننا نسير به الجبال أو
قطعت به الأرض أو كلم به الموتى بل لله الأمر جميعا » الرعد ٢١ لا حذف
فيها ولا تقدير ، ولا بأس أن أقول لك لفظه لتعجب يقول : عن آيات
ذكرها حذف فيها جواب الشرط باجماع العلماء « إنها في حقيقة الأمر
ليست شروطا محذوفة الجواب - كما يظنون - وإنما هي باب آخر من
حدوث التعبير في العربية لا يجوز على منط أساليب الشرط المعروفة ، ولا على
منط أساليب التخييل المأثورة حتى من باب ثالث لا تنفي آفاق البلاغية
عند حد ملأها بتجديد بتجديد المعاني والسياق فلا يفتقر عليه من البلاغ
إلا أن يملكه شجاعة العربية كما يقال (١) لكن ما هذا البلب
الثالث وما حدوده وإذا كان لا حذف في العربية فلا معنى لشجاعة العربية
أليس هي الإيجاز كما ذكر العلماء ؟ إنهم إمام دعاوي غريبة تطلق
إطلاقا في تهافت ، لأن محاولة الهدم دون دليل أو بدليل أو يخرج به
صاحبه - وإن اتبع سبيل غيره - من كلام الناس .

الجامع بين المفردات والجل :

ونظام الكلام عند البشر — يقتضى علاقة تربط بين أجزائه ، وخطا
ينتظم تراكيبه وألفاظه وعقلا بصوغ عباراته ، فى تأخ ، وتلاؤم يجعلها
مسموكة محبوبة ، لأن الكلام فى حقيقته ناطقية الإنسان وإحساسه
التدقيق ، وفكره الواعى ووجدانه الدافى .

وقد كان الشعراء والأدباء — وقيل تدوين العلوم — وبعده ، لديهم
حسن بالكلمة أو ملكة لغوية ، وفوق بياى يستبطن أسرار اللغة ،
ويرصد إلهاماتها وظلالها ، ويميش وحى ألفاظها ، وتصابير عباراتها ،
يألفون معها فى معايشة واعية . واندماج فى فإدا ما عبروا عن أنفسهم
انبعث التراكيب حارة فيها دفق حياتهم ، ونبض قلوبهم ، وحار مشاعرهم
وصادق عواطفهم ، شعرا شاعرا أو نثرا ساحرا .

وقد تذهبوا إلى أن بعض الشعراء ينفذون أحيانا بالكلمات فى ملل
ظاهر ، أو تراخ فكرى ، أو كسل عقلى ، وهمود عاطفى ، أو بخونهم
الطبع حين تطول أسباب الكلام ، وهى آفة لم ينبج منها شاعر مطبوع (١)
تحتجى العبارات متفائرة العرى ، متنافرة الجوار ، كقول خلف الآخر فيما
يرويه الجاحظ :

وبعض قريظ القوم أبناء علة يكبد لسان الناطق المتحفظ

(١) راجع اعجاز الرافعى ودلالات التراكيب د محمد أبى موسى ١٩٩١
وما بعدها .

ولآخر :

وشعر كبحر السكبش فرق بينه لسان دعى في القريض دخيل
وكانوا يعميرون على من يهمل شيئاً من مراعاة النظير . أو دقة الطباق
كفقد نصيب الشاعر للحكيت قوله :

أم أهل ظعائن بالعلماء نافعة وإن تكامل فيها الأنس والشنب
قال له : باعدت في القول ما الأنس من الشنب ألا قلت كما قال
ذو الرمة :

لياء في شفتيها حوة نفس وفي اللثات وفي أنيابها شنب
فانكسر الحكيت ، كما عاب للنقاد قول أبي تمام وقد أخطأ في تمثيده
للمدح فقال :

لا والذي هو عالم أن النوى صبر وأن أبا الحسين كريم
ما زلت عن حزن الوداد ولا غدت نفس على ألف سواك تحوم
فأية مناسبة بين مرارة النوى وكرم أبي الحسين (١)
إن هما تباقضا في الشعور دلالة الكذب الفني بين الفراق المحرق وما فيه
من كآبة ولوعة . وعذاب ، وحنين راعش ، ومذاق مر ، وبين كرم
المدح الذي يبعث في النفس هشاشة وبشاشة وإقبالا باسماء ، وأملام شرقا
راضيا في سبيله أوجف للشعراء وبريت أسلات الأفلام .

ودع عنك من يدعى لأبي تمام أنه قصد بناء ضجة عطف ذات نسق
موضوعي جديد ، يتم فيه تراسل ماهيات المعاني بين مرارة النوى وكرم

~~١٩٦٢ راجع البيان والتبيين ٦٦/١ وما بعدها وبغية الايضاح ١٩٧٢/٢~~
(١) راجع البيان والتبيين ٦٦/١ وما بعدها وبغية الايضاح ١٩٧٢/٢

أبى الحسين على وجه بنيوي خاص من خلال إبداع سياق يعبر عن البنية الخفية الكامنة تحت هذا العرض للواقع الذي قد يبدو عرضاً غيبياً متجانساً»^(١) وإذا كان صاحب الفقرة السابقة قد أثبت لأبى تمام ما غفل عنه أو ما أخطأ في فهمه النقد إلى يومنا هذا فقد فعل ذلك مع الحكيم أيضاً^(٢) والمؤلف تبعاً للأشوليين وأصحاب البنيوية يرفض فكرة الجامع وإن شملت العلاقات على اختلافها وتنوعها وكونها دائرة في عالم العقل أو الوهم أو الخيال ، وهي الطاقات الإنسانية التي عرفها العلم قديماً وحديثاً ، يرفضون ذلك بحجة أن تلك العلاقات خارجية قبلية ، يعنون أنها موجودة أو متحققة قبل إنشاء النص ، وخارجية مستمدة من عالم النفس ، أو على أساس (سيكولوجي) أو ترابي ، ويستدلون بذلك للقول بالعلاقات المستمدة من صيغة النص وبنيته أو ما سماه المؤلف : « تراسل ماهيات المعاني » رفضاً لفكرة الصواب والخطأ وقانون الترابط العقلي ، وما أقره التراث من جامع عقلي ونفسي وخيالي ووهمي ؛ تاركاً لآنان حرية التجديد. والمؤلف بعد هجوم وأخذ ورد وتمثيل بشواهد مصنوعة كأن يقول ممثلاً لاختلاف الصورة باختلاف الصياغة :

الحسين والحسن وعلى من عظماء التاريخ — اينين وماركس
وعلى من عظماء التاريخ^(٣) ووضعه علياً يقصد الإمام علياً بجانب
أقطاب الشيوعية أمر غريب مريب ، المؤلف بعد كل ذلك ينادي ببلاغة
السياق المبكر ، والسبب في ذلك أن البلاغة العربية قاصرة عن « واحة

(١) بلاغة العطف ١٥٨ ١٠

(٢) المرجع ١٦٠

(٣) المرجع ١٤٠

(٤) — الوصل

الشعر الجديد أو الشعر الحر وهذا ما رددته في مؤلفه^(١)

والواقع أن عدم القراءة في كتب التراث هي سبب كل بلاء. ذلك أن تفتير الترتيب في السياق أو للنسق من تقديم أو تأخير يؤدي إلى اختلاق المعنى والتصوير وهذا أمر بديهي كرره عبد القاهر في دلائله عشرات المرات. أما بلاغة السياق ، أو ما يوحيه للنسق من تصوير خاص ومعنى معين ، فهو أمر لا جديد فيه عند علماء البلاغة وعلماء القرآن ، وبخاصة علماء التناسب بين الآلات والشعر ، ولكنه تناسب لا يخرج عما أودعه الله في الإنسان مما يدركه عقله ، أو ينبض به قلبه ، أو يرقى إليه وهمه ، أو ما يخلق به خياله . ثم إن ما ذكره العلماء من ألوان الجامع وغيرها من فنون البلاغة إنما هي أطر عامة ، ووسائل أداء ، ومناهج قول ، تمثل الإنسان العربي عقلاً ووجداناً وقياً ، ولا تنحصر على حرية الشاعر أو الأديب في التعبير . ومن هنا تنوعت التعابير والتصاوير والتراكيب بتنوع الشعراء الذين لا يحصى عدداً فالتميز كبقية البنات لا تتفق في اثنين .

أما الأسلوبية والبنائية أو الحداثة بوجه عام . فليس هدفها تجديدها وإبداعاً إنما هدفها — كما ذكر الدكتور محمد مصطفى هدارة في محاضرة قيمة له بنادى جدة الأدبي في رجب ١٤٠٦ هـ — مناصرة الشعر الحر (وهي أخطر من الليبرالية والعلانية والماركسية وكل ماعرفته البشرية من مذاهب واتجاهات هدامة ترسيخاً للنموذج الغربي في حياتنا وفكرنا ، تمرداً كما ذكر أدونيس على الواقع الاجتماعي دينياً وفكرياً وسياسياً ، وثورة على الأنظمة السائدة .

(١) المرجع ٣٢ ، ١٧٦ .

ولما كانت الحداثة هدماً لكل نظام وقاعدة ، دون أن توجد نظاماً
وقاعدة أصبح العبث الفكرى سمة بارزة فيها ، وسقطت في ظلمات الغموض
والفاز الطلام بدعوى أن الشعور نوع من السحر لأنه يهدف إلى أن يدرك
حالا يدركه العقل ، والواقع أن الحداثة راجعة في أصلها إلى العلمانية
واللار كسية كما تكشف خالدة سعيد زوج أدونيس .

ثم إن الحداثة عند بعضهم تدمير لكل قاعدة في اللغة ، ومحاولة
لإعادتها إلى الاقاعدية اللامتشكلة ، ويتم ذلك عن طريق تدمير بنية الجملة
للدالة وتحويلها إلى سلسلة من الامكانات والتداخل ، فهي تدمر العلاقة
التقليدية بين الكلمات والأشياء ، لتصبح الكلمات استنارة لأنواع مختلفة
من السياق .

وهم يسمون اللغة العادية (التوافقية) أو الترابطية ، بمعنى أن لفظة هاب
تشير إلى موجود فيزيائي . ولكن لغة الحداثة لا تستحضر الحدث في وجوده
الفعلي ، بل تريحه وتفسج حوله شبكة معقدة من العلاقات ، حتى إن وجود الشيء
يتحول إلى وجود رمزي صرف يختفي فيه اختفاء شبه مطلق . والحاضرة قيمة
كانت لها هزة ، ووقع طيب في الأوساط العلمية والأدبية ، وقد حرصت على
نقل فقرات من هذه المحاضرة لأبين ما يتخذ دعاة الحداثة من عناوين قوآنية ،
قد يضل بها بعض شبابنا الذين هم عدة هذه الأمة في مستقبلها . ونعود إلى
النسق لنقول : ان الامام عبد القاهر اهتم كثيراً في تقدير نظرية النظم بما
للعلاقات بين الكمات والجل من خطر وأثر جليل ثم أضاف السكاني
بعقلية حادة مفهوم الجامع بين الكلام فلهيصة التراث البلاغى في هذا الشأن .

والجامع إما عقل أو وهمي أو خيالي : فالعقل يشمل كل العلاقات التي يحكمها العقل ولا يخرج عن دائرته بأن يكون بين المسند اليه أو المسند في الجملتين اتحاد في التصور بأن يخصا نوعا أو شخصا واحدا نقول زيد يشعر ويسكتب أو وتمثل هذا في الواقع الخارجى ، أو تضاييف كما بين العلة والمعلول ، والسبب والمسبب ، والسفل والعلو ، والأقل والأكثر .

فالأول : وهو ما اتحد فيه المسند إليه كقوله : « فاعلم أنه لا اله الا الله وامتنعوا لديك وللمؤمنين والمؤمنات » محمد ١٩ والثانى : وهو التماثل كقوله تعالى « والذين آمنوا بالله ورسوله أولئك هم الصديقون . والشهداء عند ربهم لهم أجرهم ونورهم » الحديد ٢٩ تماثلا في الجزاء الجليل .
وتمثل للمسند كقول الشاعر :

فبيكى ان فأوا شوقاً إليهم وبيكى ان دنوا خوف الفراق
والثالث وهو التضاييف أن يكونا بحيث لا يمكن تصور أحدهما دون الآخر في الذهن .

والجامع الوهمي أن يكون بين تصوريهما شبه تماثل كلون البياض والصفرة : فإن اللون يبرزها في ممرض المثليين ، ولذلك حسن الجمع بين الثلاثة في قول الشاعر :

ثلاثة تشرق الدنيا بهجتها شمس الضحى وأبو اسحق والقمر

أو تضاد كالسواد والبياض ، والتحرك والسكون أو شبه تضاد كالسما والارض فإن الهم يفزل المتضادين منزلة المتضايقين فيجمع بينهما في الذهن ولذلك نجد الضد أقرب خطورا بالبال مع الضد ومن ذلك قوله تعالى :

« وما يستوى الأعمى والبصير ولا الظل ولا الخور وما يستوى الأحياء ولا الأموات »^(١)

وقال تعالى « إن الأبرار لفي نعيم وإن الفجار لفي جحيم »^(٢)
« فليضحكوا قليلا وليبكيوا كثيرا »^(٣) والتضاد وما يشبهه أو الطباق بألوانه أدى دورا خطيرا في الأساليب القرآنية ، ذلك أن التقابل نظري في النفس وأقرب طروا بالبال ، والحياة نفسها تقوم عليه وهذا الكون العتيد معنى عليه ليس في الأمور المادية الحسية فحسب ، بل والعلمية والنفسية والروحية .

وليس الضد شرا بالضرورة ، بل هو قانون التغير والتقلب في الحياة والأحياء ، أليس الكون سماء وأرضا ، وليلا ونهارا ، وشمسا وقمرًا ، وجبالا وسهلا وما وجدبا ؟ أليست حياة البشر رفعة وضعة ، وغنى وفقرا وعزا وذلا ، وحلما وجهلا ، وبدءا ونهاية .

أليس الإنسان مجموعة صفات متباعدة ، وحالات متفاوتة : من صحة ومرضى ، وسعادة وشقاء وحب وشنآن وإيمان وكفران . لذا وجدنا الطباق مما ينبني عليه القرآن وهو حياة مصورة للحياة بمفهومها الكبير ، ومزاة عاكسة لقضية الإيمان والكفر ، والصراع بين الحق والباطل ، والفضيلة والذيلة ، وما لذلك من تشعب وتنوع وتقلب وحدة بين أصحاب الرسالات وأنباعهم المؤمنين وبين ذوي الباطل والكفر وأشياعهم .

(١) فاطر ١٩ - ٢٢

(٢) الانفطار ١٣ ، ١٤

(٣) التوبة ٨٢

ومن هنا كثرة التقابل جدا في القرآن وأنه رباط معنوى يجعل الفسق متماسكا ، يتوحد في الفكر والخيال فوق أنه نوع من التصوير وضرب من الإيقاع وشعبة من الفطرة وقبس من الحياة الدافئة .

والجامع الخيالى : أن يكون الجعم بين الشئيين اعتقاريا مسندا إلى إحدى الحواس الظاهرة والخيالى تنسج دروبه ومذاهبه وصوره حتى يلتئم الوجود في النفس للشاعرة التى تدرك خافى العلاقات بين الأشياء ، وتنفذ إليها برؤية خاصة ، ومذاق معين والخيال بألوانه التى فصلها القدماء والمعاصرون من هبات الله للبشرية ، وهى قوة مبدعة ملهمة تختلف فى إنسان عنه فى آخر ، وما العبقرية إلا نفاذ فى القوى الباطنة ، وحدة فى الخيال ، وتوقد يلتحم بالوجود فى إلهام مقدس ، وقد يمنح الخيال ويجمع فيؤلف بين المتنافرات بعلاقات نفسية خاصة ، وقد يفرق فى ذلك حتى يكون الغموض . يئد أن من الغموض ما يمكن كشف أسناره بعد تأهل ، وإعمال طاقات الإنسان ، وهى متعة ذهنية تسوق إلى متعة وجدانية فنية حين يقبضى للتصوير بعد خفاء . ويتكشف الجمال بعد سفور حجاب .

قال عبد القاهر فى التمثيل : ومن المركز فى الطبع أن الشئ إذا نيل بعد الطلب له أو الاشتياق إليه ، ومعاناة الحنين نحوه ، كان نيله أحلى ، وبالميزة أولى ، فكان موقفه من النفس أجل وأطف ، وكانت به أضن وأشنف ، وكذلك ضرب المثل لكل مالطف موقعة يبرد الماء . حل الظلم كما قال (القضاى) :

هن يفسذن من قول يصبن به مواقع الماء من ذى الفلة الصادي
وأشياء ذلك مما يقال بعد مكابدة الحاجة إليه . وتقدم المطالبة من
النفس به ، فإن قلت فيجب على هذا أن يكون التعقيد والتعمية وتعهد
ما يكسب المعنى غموضاً مشرفاً له وزائداً في فضله وهذا خلاف ما عليه
الناس ألا تراهم قالوا إن خير الكلام ما كان معناه إلى قلبك أسبق من
لفظه إلى سمعك ؟ فالجواب أنى لم أرد هذا الحد من الفكر والتعب وإعانة
أردت القدر الذى يحتاج إليه فى نحو قول المتنبي :

فإن تفق الأنام وأنت منهم - فإن المسك بعض دم الف - زال
وقوله :

وما التأنيث لاسم الشمس عيب ولا التذكير فخر للهلال
وقول النابغة :

فإنك كالليل الذى هو مدركى وإن خلت أن النبتأى عنك واسع
ثم قال - رحمه الله - إن هذا للضرب من المعانى كالجوهر فى الصدف
لا يبرز لك إلا أن تشقه عنه ... ثم ما كل فكر يهتدى إلى وجه الكشف
عما اشتمل عليه ، ولا كل خاطر يؤذن له فى الوصول إليه ، فما كل أجد
يفلح فى شق الصدفة ، ويكون ذلك من أهل المعرفة ... ثم يقول عن
التعميد « وإنما ذم هذا الجفس لأنه أحوجك إلى فكر زائد على المقدار
الذى يجب فى مثله ، وكذلك بسوء الدلالة ، وأودع المعنى لك فى قالب غير
مستور ولا علس ، وإذا خرج مشوه الصورة فاقصص الحمن ، ولذلك كفى

أحق أصناف التعقيب بالذم - ما يمتبك ثم لا يجدى عليك ويؤرقك ثم لا يروق لك « (١) .

وقوله : « أحوجك إلى فسكر زائد على المقدار الذى يجب فى مثله » يؤكد على معيار وإن كان نسبيا - للغموض الفنى فثم درجة لهذا الغموض يتحول بعدما النص إلى معميات وطلاسم وأحاجى وألغاز ، وهذا المعيار استقر فى الحس النقدى العربى قبل عبد القاهر وبخاصة حينما ظهر أبو تمام كظاهرة فنية فريدة جريئة - وإن مهد له غيره كمسلم بن الوليد - من إسراف فى ألوان البديع ومزجها بالصورة البيانية وغمسها فى ألوان ثقافته العميقة مع عمق وإعراب وجوح خيال ، مما جعل الصور الفنية عنده كثيفة مركبة ، ثم إنه اتسكأ فى بقاء الصور على علاقات بين المشبه والمشبّه به أو المستعار والمستعار له جد خافية فيها بعد وغموض خياله الفاذ وعقله الحاد .

وقد هال معاصريه بشعره ولم يرض جبهة النقاد بمديد من أبيات شعره . ونقده كثيرون كابن المعتز والآمدى وحلى بن عبد العزيز والباقلانى وابن سنان وعبد القاهر - وابن رشيق - قال الآمدى : صار كثيرهما أنى به من الممانى لا يعرف ولا يعلم غرضه فيها إلا مع السكد والفكر وطول التأمل ومثله ما لا يعرف معناه إلا بالظن والحدس . وقال منصفاً لبعض شعره ، لما فيه من لطيف الممانى ، ومستغرب الألفاظ ولكنه شره إلى إيراد كل

(١) راجع الفصل الرابع الذى عقده الامام لقضية التعقيد والغموض الفنى فى أسرار البلاغة ١٤٢ - ١٤٩ .

ما جاش به خاطره و جلجلة فسكره نخلط الجيد بالردى ، والعين النادر بالردل
الساقط ، والصواب بالخطأ^(١) ومن بعيد استعاراته قوله :
لدى ملك من أيكة الجود لم يزل على كبد للمعروف من فعله برد
حتى إذ اسرد الزمان توضحوا فيه نفودر وهو منهم أبلق
كأننى حين جردت الرجاء له عفا صبيت لها ماء على الزمن^(٢)

ولبعيد استعاراته وكثرة تشخيصاته ، واستعاراته التخيلية واختلاقه
علاقات بعيدة كان قريبا إلى أذواق بعض المعاصرين وبخاصة الرومانسيين
وربما كان محمود حسن إسماعيل فيه شبه من أبى تمام من حيث تكثيف
الصورة وتراكبها واتسكائه على علاقات فيها بعض الغموض وهذا وغيره
مما يدور فى إطار من التجديد له جذوره عند الشعراء من قديم ، ولا تبعد
عن الأطر العامة التى صاغها العقاد معبرة عن روح الشعر العربى من خلال
فصوصه الوافرة . ثم إن تقبل ما كان فيه غموض فنى زائد قليلا عن الحد
النسبى المدرك بالدوق المتقف أو رفضه محكوم فى النهاية بالجامع الوهمى أو
الخيالى . وهذا يختلف تماما عن هذا الانفلاق للفرق فى الإبهام والغموض
المطبق ، الرمز المكثف فيما يسمى بالشعر الحر ، الذى تضافرت عوامل عدة

(١) راجع فصل « أخطاء أبى تمام فى اللفظ والمعنى » للامدى : الموازنة
١٢٣ - ٢٥٣ والمنقول ص ١٢٥ .

(٢) راجع الموازنة ٢٣٣ وباب : ما فى شعر أبى تمام من قبيل
الاستعارات . الموازنة ٢٢٨ - ٢٤٧ .

وانظر : الصبغ البديعى د أحمد موسى ٨٢ - ١٠١ والفن وهذاهبه
فى الشعر د شوقي ضيف ٢٣٢ - ٢٦٢ .

على ظهوره ، والبلخ فيه من آثار الاستعمار وحملات الاستشراق ، وأتباعه
وضرب الحركة الإسلامية في بلاد العرب ، خاصة ومحاربة التراث وتكالب
الشيوعية والصليبية أو الرأسمالية على عالم عربي مفكك ابتلى بالدولة اليهودية
مخلبا للاستعمار الغربي يزهق كل ثوب أد تقدم أو طموح .

ولذا عاش كثير من الشباب التششت النفسى والتمزق الوجدانى بين
شقى الرحى يساراً روسياً أو فكاراً غربياً مبنياً على تراث وثنى يوفانى ،
وتقاليد مسيحية متغايرة الملامح :

فالشعر الحارظاهرة مرضية أفرزتها ظروف بالغة القسوة مرت بالامة العربية
والإسلامية ، ولأنجاة إلا بدعم الإسلام وتربية الأجيال الناشئة على قيمه
الخالدة وعلى تراثه الجليل الذى انبثق من الكتاب العزيز والحديث الشريف
ليظل العرب عرباً والشرق الإسلامى شرقاً إسلامياً ...

والواقع أن الشعر الحر نشأ بعيداً عن الحدائث ثم أصبح كثير من
رواده دطاة للحدائث وتقوم صور شعرهم على علاقات سرىالية أو عقلانية ،
إنها إباحة مطلقة بلا منطق ولا حدود ، وإسقاط لكل ما يتعلق بالتراث
وعبادة للغموض الملفز ، بمعنى أن الجامع لشتات الصورة عندما جامع نفسى
لاعقلانى ، خاص بالشاعر وطله الذى يختلف من أحلام غير منتظمة ونفقات
العقل الباطن وشهوة إلى تدمير كل إيقاع وتلاؤم فى اللون أو فى النفس .
فالشعر الحر الحدائى فى مجله لوحات سرىالية ، والخيف أنها تنحصر
لتهيج فكرى منظم هو تدمير كل ثابت إسلامى عربى يتحطم اللغة التى

يرون فيها - كما يقول الدكتور هدارة في محاضراته - يرون فيها شبحا للسلطة التي يسكرهاونها - كما يقول الدكتور كمال أبو ديب « الحداثة لا ترى موت اللغة فقط بل تراها لغة مكدسة محشوة بالسلطة وقوة ضخمة من قوة الفكر المتخلف التراكبي السلطوي » وذلك بتدمير بنية الجملة العربية وتحويلها إلى سلسلة من الإمكانيات والتدخلات وإلى لغة تعيد العالم إلى سديم أولى يهسهس ويوسوس فقط كما يقول أبو ديب لأنه حلم مجنون مرعب يفوق ما عرف العالم من بشاعة في الشيوعية أو الاستعمار الغربي الخفيف .

وينبغي على علماء العربية ومن له دين وخلق وعلم أن يقول كلمة نصرة للغة والإسلام قبل أن يموت متخاذلا ملوما صداما لهذا السيل الجارف من العفن الذي تطالعنا به المجلات الأدبية والصحف اليومية أو الأسبوعية ونحمد الله أننا نثيرها قضية مع زملائنا وأبنائنا أينما كتبنا تنبيها وتخصيصا .

الجامع الخيالي شاهد وتحليل :

وبدا فإن في القرآن الكريم ما نبه إليه الشيخ محمد عبد الله دراز رحمه الله من الجامع النفسى أو تنزل الألفاظ على تداعى المعانى فى النفس بالإضافة إلى ما عهد من الجامع العقلى أو الوهمى أو الخيالى بمعنى أن أساليب القرآن الكثير تنير بعض هذه الملكات النفسية أو جميعها عقلية ووجدانية قراءتها أو سماعها ، واستشراق العلماء إلى القرآن وبلاغته ، إنما هو رصد لما ينعكس على مرآة قلوبهم وتنفعل به كل طاقاتهم حسا وخيالا وقلبا وعقلا وما لا تعرف مما أودع الله فى الإنسان من حواس وملكات تستجيب للجمال وتهم به ، جمالا روحيا تطير به النفوس إلى آفاق السنا والصفاء . وانظر إلى هذه الآيات التى يسميها ومثيلاتها سيد قطب رحمه الله « لوحات » غنية قال تعالى « أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت وإلى السماء كيف رفعت وإلى الجبال كيف نصبت وإلى الأرض كيف سطحت » العاشية .

١٨ — ٢٢ .

والنظر إليها من جوانب مختلفة أو مستويات معينة فالقرآن نزل على لغة العرب وكانوا ذوى أسفار على الإبل فحين يمتطى العربى ناقته فى المهمة والقفار ويخلد إلى التفكير فلا يجد إلا صحراء ممدودة ، تبرز فيها الجبال شاحخة فتناطح السحاب من قريب ، ضئيلة من بعد ، كناقية الباجية التى يرتحلها وهو فى دائرة دأمة من أفق السماء المنطبق على الأرض وهو مركزها ثم إن هذه الأمور مصدر حياته وبقائه وحمايته ، إنها لوحة فنية تجمع بين السماء والأرض والجبال والإبل فى مشهد واحد ملحوظ فى أجزائه الضخمة

ومما تلقى في الحس من استهوال ، وهناك اتجاهان ... كما يقول سيد قطب -
في توزيع الأجزاء : أفق في السماء المرفوعة والأرض المبسوطة ، ورأس
في الجبال المنصوبة والإبل الصاعدة الأسنمة ، ثم إن هذه الصورة مرتبطة
الأجزاء متداخلة العلاقات في خيال العربي مرتبة حسب ترتيب الأجزاء
وقرب ففهمها للانسان من الجمال وهي أنفع وأضخم الحيوانات عقدم وبها
تتحقق هذه الصورة المسافرة ويمكن بشيء من التسامح أن نقول :

إن بدء اللقطة للصورة من فوق الإبل في مستوى يصافح البصر فيه
وجه السماء وقمم الجبال وعلى المدى المنبسط أرض مسطوحة وهذه الصورة
مقصود بها الدعوة إلى التفكير فيما خلق الله وصنع وأبدع استدلالاً بالمصنوع
على الصانع المبدع جل شأنه تماثلاً بين الدعوة وإشباع الحاسية الفنية كما
هو شأن القرآن الكريم (١) .

(١) راجع في الآية الرازي ١٥٨/٣١ وبغية الايضاح ٩٢/٢ وشروح
التلخيص ١٠٢/٣ والشهاب الحقاقي ٣٥٤/٨ والتصوير الفني ١٢٣ .

مواطن الفصل :

أشرنا إلى أن مصطلح الفصل ، لا يعنى قطع العلائق بين الأساليب ، بل الفصل والوصل : وسائل للتعبير بصطفتها الأديب ليترجم بها عما يشاء من مكنونات فؤاده ، وقد يتجاوزان في فسق واحد ، وتتلاحم الجمل وتتداخل ، وتتدفق المعاني وتتشابك ، على أن ماساقه للعلماء من مواطن الفصل والوصل في الكلام البليغ لاستتوفي كل مواضعه في القرآن الكريم بمقاصده ، فقد تستط الواء في موطن لتذكر في آية مشابهة وقد تستبدل بالواو الفاء ، وقد تتجاوز الآيات دون وصل ، أو توصل دون فصل «وقد ترى القرآن يتم طائفة من المعاني ، ثم يعود إلى طائفة أخرى تقابلها ، فيكون الحسن - كما ذكر الشيخ دراز - من الناحيتين ، وملاك ذلك النظر إلى النظام المجموعى للسورة ، ولو سئل المرء أين موضع الوصل لصعب عليه تحديده بقاعدة علمية ، على أنه لو خلى نفسه ووجدانها واتصل بهذا الموضع تلاوة لأحس بروح الاتصال ، وحلاوة الانتقال قبل أن يهتدى لعلامة معينة»

وهذه الفقرة - كما قلت - من إلهامات الدكتور دراز - رحمه الله - أو تسمت على صفحة قلبه ، بما قد يعنى بعض العلماء أنفسهم في الوصول إلى بعضه دهرأ دهيراً كما ننبه أولاً إلى أنه قد يتوارد اصطلاحان على موطن واحد ، فيكون الفصل - مثلاً - اكمال الانقطاع ، وشبه كمال الاتصال . والنسكت لاتزاحم - كما يقولون ثم إن وجود نوع من الجموع في الآيات القويانية كالجوامع العقلية وهى أن الأسلوب مقنع للعقل لحسب أو مثير للخيال وحده فمن البدعى أن من سمات الأسلوب القرآنى كما أفاض في

ذلك الدارسون إثارة الجانب العقلي والعاطفي معا أو على درجة سواء ، وإن شئت قلت : إنه الأسلوب القاذ الذي يثير مانعهم وما لانهم من طاقات الإنسان وملكاته ومواهبه كإنسان .

مواطن الفصل :

وللفصل خمسة مواطن : الأول : كمال الانقطاع ، ويكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو إلى طرفيه وله حالتان : الأولى : أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنى ، أو معنى ولفظا (١) .

ويبدو أن هذا سبب شكلي للفصل ، ذلك أن إحدى الجملتين تحكى من حدث وقع ماضيا أو يقع حالا فله نسبة خارجية والجملّة الثانية لإنشائية : لم يقع مدلولها بعد فليس لها نسبة خارجية وهذا معنى قولهم : كمال الانقطاع ولا يعنى قطع المناسبة بينهما إذ لا بد منه ليلتئم الكلام الثنّاءا يسكون حسنا ثم تترقى الأساليب في الحسن البلاغى حتى تصل درجة الإعجاز الذى تفرد به القرآن الكريم ولذا فمجرد اختلاف الجملتين خبرا وإنشاء لا يعنى الفصل لعدم المناسبة - بكمال الانقطاع - بل ينبغى أن يؤول الفصل لسر آخر بلاغى يعين عليه الفسق كشبه كمال الاتصال أو كمال الانصبل بالتأكيّد مثلا أو لتداعى المعانى فهو اذن فى نهاية الأمر - مانع بلاغى لانهوى وهو رأى للشيخ عبد المتعال الصميدى رحمه الله تعالى - وقد أشار إلى أن ترك العطف فى هذا الضرب لمانع نهوى ، فلا يصح أن يعد من أبواب البلاغة على أن سيبويه يميز العطف فى نحو « هذا زيد ومن عمرو ؟ » مع

(١) النبا العظيم ١٥٦ .

(٢) الايضاح ٢٤٩ .

اختلافهما خبراً وإنشاء^(١) وفكرة للمانع النحوى غير متممة لأن هذا الضرب
- وقد جاء فى القرآن الكريم - لا بد أن له عديداً من الأمرار البلاغية ،
غاية ما هنالك أن يؤول سراً الفصل - لا لكمال الانقطاع - بل لتداسى
المعاني أو كمال الاتصال أو غيره حسب السياق كما سبق .

على أن الفصل المستعمل بين النحو والبلاغة قضية لا بسها كثير من
الوم وكثير من الأحكام العامة التى لادقة فيها قد تصل أحياناً إلى حد التجنى
والجور وإطلاق القول دون مدى ولا علم وبدون فقوانين النحو هى التى
تضمن الصحة اللغوية وبدونها لا يكون الكلام صحيحاً ولا حسناً إذ بهذه
القوانين يكون الكلام عربياً ثم تمثل البلاغة فرعاً مورقاً لهذا الأصل المريق
بمعنى أن البليغ يقصد قصداً إلى صياغة خاصة للجمله والجمله فيها ما يشاء
من معانى النحو من تقديم أو حذف أو تنكير الى غير ذلك على صورة خاصة
من البيان تامة المعنى كاملة الحلى^(٢) معبرة عن أفكاره الخاصة ومشاعره
العينية المكنونة على ترتيب نفسى يسيطر عليه العقل ثم يتفارت البلاء فى
استثمار الخصائص والمزايا اللغوية وحسن التصوير لعالم للنفس والفكر أعنى
من حيث مطابقة الكلام الفصيح باقتدار فنى لمتضى الحال على عمومته
من حال المتكلم والمخاطب والموقف والسياق نفسياً وجمالياً وتلاؤماً
أسلوبياً .

(١) بغية الايضاح ٦٩/٢ وراجع عروس الأفراح ٢٦/٣ - ٢٧ .

(٢) راجع : دلائل الإعجاز ٣٦ - ٤٤ وموضوع : الصورة فى التراث

البلاغى د. محمد أبو موسى / مجلة كلية اللغة العربية جامعة أم القرى العدد
الثانى ١٤٥٠ هـ ص ١٩٠ □

فالحسن البلاغى متفاوت لتفاوت الأساليب فى الاقتدار البلاغى وهذا
الاقتدار دائرة تتسع لكل من وهبه الله حاسة فنية، ولساناً بليغاً ، وقلباً
رقيقاً، وذوقاً مرهفاً وحساً جالياً، فيخرج شعراً مصفى شاعراً أو نثرًا ساحراً
وهذا باب رحب واسع المدى يسم كل عبقرى اللسان والجنان ألوف الألوف
من عشاق الفن الأدبى ومبدعيه .

ومن عجب أنه لا يتفق شاعران ولا ناثران فى الصياغة والإثارة
والجمال القولى، لأن لكل بليغ بصمة فنية أو وجهاً بلاغياً أو أسلوباً خاصاً
به لا يختلط بغيره عند فاحص النظر وعالم البلاغة ثم يعلو الحسن طبقة أخرى
فوق ما سبق درجات لتكون البلاغة النبوية فى نورها الحمى الذى
منحه الله جوامع الكلم وألهمه البلاغة ، وجعلها فيه فطرة تامة كما قال :
« أدبى ربى فأحسن تأديبى » وقال صلى الله عليه وسلم « أنا أفصح العرب
بيد أنى من قريش » ثم يرتقى الحسن البلاغى ارتقاء خارقة ليعانق الأساليب
القرآنية لأنها : « تنزيل من حكيم حميد » وهى تكون البلاغة القاهرة
والجمال القدسى الجليل .

ولا شك أن لكل من الفحو والبلاغة ميدانه الخاص ووظيفته المعينة
وحده ورسومه وأهدافه ومقاصده . ومن أظهر ذلك أن النحو - وبخاصة
بعد أن استقل بمباحثه - يضع الضوابط المستقاة من كلام العرب ويبحث
فى الدلالات الحقيقية للأدوات وغيرها ، ويبين الجواز والخطأ فى التعبير ،
فهو فى نهايته معيار للصحة اللغوية ، بينما البلاغة تبدأ حيث ينتهى النحو
وهى فرع سامق لهذا الأصل الراسخ ، ثم إنها تستثمر قوانين النحو
(٥ - الوصل)

على وجه بلاغى يترجم عن الحس والعقل والوجدان. فالتقديم فى نحو «إليك
يهدى» معنى نحوى وراه أسرار فنية بلاغية عالية نحسها من التقديم
بكافادة الاختصاص باخلاص العبادة، وتجريد التوحيد ونقاء القلب، ووحدة
المقصد تسليماً لله وقرباً.

وقد حفلت كتب التراث بأحكام بلاغية أصدرها بعض النحاة (١)
وكانت مصدر نقد شديد من البلغاء والنقاد منذ القرن الثانى الهجرى وقد
بلغت الحملة على النحاة الذين يتصدون لفنون البلاغة ذروتها عند ابن الأثير
ضياء الدين الذى أكد أن النحاة لا فتوى لهم فى شئون الفصاحة، وكثيراً
ما كان يذكر محاورات بينه وبين بعض النحاة فى بعض الأساليب القرآنية
والأدبية يرد عليهم أقوالهم، ويتيح له أن يزيد شموخاً وافتخاراً، وبعيداً عن
نزعة الافتخار رأينا السبكى يضم فواصل بين النحو والبلاغة لكننا
نلاحظ هذا أمورا :

أولاً : أنه فى بدء التأليف فى العلوم العربية وجدنا النحو والبلاغة
يعتبران فى عديد من المؤلفات كما فى الكتاب لسيبويه والكامل للبرز.
ثانياً : كثير ممن تقدم لتفسير كتاب الله من الأئمة كانوا نحاة بلغاء
أحاطوا بتقانة عصرهم تقريباً وحاولوا اكتشاف الأسرار البلاغية فى القرآن
انطلاقاً من المعانى النحوية، ولم يوجد لديهم هذا التقاطع الحاد بين النحو
والبلاغة كما يذكر بعض المعاصرين، وصحيح أيضاً أن أبا حيان كان متقيداً

(١) تراجع فى ذلك نظرية اللغة فى النقد العربى د. عبد الحكيم رضى
ص ١٩٣، ١٩٧، ٢٠٧ وما بعدها.

جفون النحو ، وكلاهما لم ينطفئ . عنده الحس البلاغى ويمكن أن نذكر من هؤلاء الأئمة القراء والزجاج والطبرى والزمخشري والرازى وأبا حيان . وكثيراً سواهم .

ثالثاً : وجدنا معالجات طيبة لفنون البلاغة وبخاصة البلاغة القرآنية . عند من اشتهروا بالنحو واللغة وكانت لهم نظرات نافذة رائدة كابن الشجرى والسهمي وأبى حيان وأبى على الفارمى وابن جنى .

رابعاً : اكتمل بناء نظرية النظم على يد عبد القاهر الجرجانى النحوى وقد أقام على مباني النحو أخطر قسم من أقسام البلاغة هو : علم المعانى أو خصائص التراكيب ، وقد أحسن رحمه الله بانصراف كثير من مريدى العلم عن النحو : فبين فضله وأشاد به وجعله أصلاً للبلاغة بل إن من لا يمر فيه ولا يحلى لا يدرك حجة الله فى إعجاز كتابه ثم تنفر عنه البلاغة متجاوزة مرحلة الصواب والخطأ إلى مراحل من الحسن والتفاوت فيه . ووصولاً إلى مرحلة الإعجاز البلاغى فى القرآن .

ولذا فمن الخطر أن يقال فى بعض الأساليب إنه جائز نحواً لا بلاغة كقولهم فى عطف الخبر على الانشاء ذلك مع أنه قد جاء فى القرآن الكريم الذى تداخلت فيه البلاغة والنحو .

ثم إن المسألة فى العصر الحديث أخذت اتجاهات خاصة بدأ مع الاستعمار والاستشراق بشق حرب على اللغة العربية بفروعها ، وكان النحو العربى ككثرة مؤلفاته ، وملكياته وصعوبة مناجاة ، وتعدد أسلوبيه من أوائل العلوم العربية التى شنت عليها الغارات وتبعته البلاغة فى ذلك بدعوى المهجية والتطوير وإن هى إلا محاولة لتدمير اللغة العربية للتيل من الإسلام والمسلمين .

ثم وجدنا الدكتور مندور رحمه الله وقد أطلق عليه شيخ النقاد في جيله يطلق اصطلاح « كسر البناء » ويعنى به أن التوهج الفنى والتأجيج العاطفى وغلbian الافعال قد يحمل الشاعر الكبير على تحطيم القيود اللغوية أو النحوية والصرفية ، ليخرج أساليب حرة متمردة على هذه القيود ، فيها كل الجمال الأسر ، وهذا فى الواقع فهم غريب لطبيعة اللغة وطبيعة قوانينها فمع أن اختلاف اللهجات منح العلماء فرصا عديدة لجواز عديد من التعبيرات فى فروع النحو كالزمام المثنى الألف فى حالاته والجزم بثن والجبر بلعل ونحوها منحت اللغة الشعراء حقا مرعيا فيما سعى بضرائر الشعر والاتساع والتجاوز شملت الاشتقاق والزيادة والحذف ، والتصرف فى البنية أحيانا ومد المقصور وقصر الممدود وصرف المنوع من الصرف وغيرها من ألوان التخفيف والتيسير لا ينكسر به بناء اللغة ولا تتحطم أصول قواعدها فلم يفت أحد بنصب الفاعل أو رفع المفعول أو ابطال الموازين فى التثنية والجمع وأسباب النصب والجبر ، بل ادعى الدكتور مندور — غفر الله له — أن فى القرآن الكريم ذاته كسرا للبناء كافى قوله تعالى : « إن هذان لساحران » « فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى » فلم يقل : « إن هذين » ولا « فتشقيان » وهذا إغفال كامل لما قاله المفسرون وعلماء القرآن وأمهات كتب النحو واللغة ، وبعض متقفينا الكبار لا يلدون بكثير من هذه الأمهات . وملتقى هنا بما نقله أبو حيان عن العلماء . قال رحمه الله عن الآية الأولى : « اختلف فى تخريج هذه القراءة فقال القدماء من الذخاة إنه على حذف ضمير الشأن والتقدير : إنه هذان لساحران وضعف

بأن حذف هذا الضمير لا يحىء إلا فى الشعر وبأن دخول اللام فى الخبر شاذ ، وقال الزجاج : اللام لم تدخل على الخبر بل التقدير : لها ساحران فدخلت على المبتدأ المحذوف ، واستحسن هذا القول شيخه : أبو العباس المبرد وغيره ، وقيل إن : « ان » بمعنى نعم وثبت ذلك فى اللغة فتحمل الآية عليه .

والذى نختاره فى تخريج هذه القراءة أنها جاءت على لغة بنى العرب من إجراء اللثنى بالألف دائماً ، وهى لغة الكفانة - حكى ذلك أبو الخطاب - ولبنى الحارث بن كمب وخنم وزبيد وأهل تلك الناحية حكى ذلك عن الكسائى ، ولبنى العنبر وبنى الهجيم ومراد وعذرة وهى مشهورة .

وقرأ أبو بحرية وأبو حيوة والزهرى وابن محيصن وحيد وابن سعدان وحفص وابن كثير إن : بتخفيف النون على أنها مخففة من الثقيلة واللام فى ساحران : للفرق بين إن النافية وإن المخففة من الثقيلة ^(١) أما الآية الثانية فقد وجه الخطاب لها أعنى آدم وحواء ثم أفرد آدم بالشقاء فى قوله : ختلقى : فاعلماء على أن فى ضمن شقاء الرجل شقاء أمه وفى سمادته سمادتها فاختصر الكلام بإسناده إليه دونها مع المحافظة على الفاصلة ، وقيل أراد بالشقاء التبع فى طلب القوت وذلك راجع إلى الرجل ^(٢) .

(١) راجع الكشف ٥٤٣/٢ والرازى ٧٥/٢٢ والبحر ٢٥٥/٦
وأبا السعود ٢٥/٦ .

(٢) راجع الكشف ٥٥٦/٢ والرازى ١٢٥/٢٢ والبحر ٢٨٤/٦
وأبا السعود ٤٥/٦ .

ثم أخذت النظرة إلى النحو والبلاغة تنجبه قريبا إلى التأثر بالفكر الغربي وقد أطلق بعض المؤلفين حديثنا على النحو والبلاغة مصطلح المثالي والمنحرف فالمثالي هو المستوى العادي والمنحرف هو المستوى الفني . وهذا للمنحرف أجهد النحاة أنفسهم — في زعمه — في الرجوع به إلى المستوى النحوي المثالي ، ولذا كان التقدير لمحدوف أو التقدير الصوري الذي « لا يعدو في الحقيقة أكثر من كونه إجراء أو وسيلة لجبر النقص الذي يشوب ظاهر العبارة حرصا على مثالية اللغة في النهاية » ففكرة الحذف والتقدير وفكرة العامل والاهتمام بما يسمى أصل المعنى دعا إليه حرصهم على مثالية اللغة^(١) .

والواقع أن تحليل كثير من الظواهر اللغوية دلالة أو نحو أو بلاغة بأنه انحراف عن المستوى التالي فيه مجازنة خطيرة ومصادرة للتراث ذلك أن العلماء منذ بدء التأليف وإلى يوم الناس هذا يوازنون الأساليب ويسجلون الظواهر ، ويقيسون التراكيب بناء على أصول بدعية مأخوذة من طبيعة التركيب في الجملة العربية فالمبتدأ له خبر والفعل له ملاساته من فاعل ومفعول وزمان ومكان وسبب ومصدر والجملة قد تدخل أدوات عاملة أو غير عاملة إلى غير ذلك مما يمثل هيكل اللغة كنظام تعبيرى للآلة ، والحذف للفعل أو المفعول أو جواب الشرط مقيس على ما لا حذف فيه بدلالة القرائن فقول الله تعالى : « الآن وقد

(١) راجع في ذلك تفصيلا كتاب نظرية اللغة في النقد العربي.

د. عبد الحكيم راضي ١٩٣ ، ١٩٧ ، ٢٠٧ وما بعدها .

عصيت قبل « فيه حذف : أى الآن تؤمن ضرورة أن للظرف فعلا ينصبه وعلى هذا تطرد القوانين النحوية التى تطلب لها أسراراً بلاغية فنية ضرورة أن لكل من النحر والبلاغة وظيفة خاصة ومنهجاً وهدفاً وكل ذلك محكوم بقواعد مستخلصة من آلاف الشواهد الفنية .

ثم تقدمت القضية خطوة أخطر فأصبحت البلاغة ذاتها ثابتة أو متغيرة مطلقة ، لا تخرج كغيرها من العلوم اللغوية القديمة - عديم - عن الإمكانيات الثابتة للغة العربية ، أما علم الأسلوب الحديث (فيعتمد على فكرة الاختيار والانحراف لأنه لا يتحدث عن الصواب والخطأ بل يسجل الظواهر ويعترف بما يصيبها من تفسير ويحرص فقط على بيان دلالاتها فى نظر قائلها ومستمعها أو قارئها » (١) .

ثم جاء دعاة الأسس لوبية محاولين نفس كل ما ينتمى إلى الماضى والاكتفاء بالتحليل البنىوى أو التحليل المختص بنظام النسق اتكاء على حال نفسية معقدة عند الشاعر ومعنى هذا الدعوة إلى التحرر الفوضى من كل قاعدة هو ذاته القاعدة الذهبية فى الشعر الحر بعد أن روج له دعاة الحداثة بمنظور جديد خطير .

ونعود إلى كمال الانقطاع لاختلاف الجملتين خبراً وإنشاءً والشاهد المشهور فى ذلك :

وقال رائد أرسـوا نزاولها	فخفت كل امرئ يجرى بمقدار
ملكته حبلى ولـكنه	ألقاه من زهد على غاربي

(١) راجع فى ذلك مدخل الى علم الاسلوب د. شكرى عياد ١٩٤٤ ، ص ٥٥

وقال إني في الهوى كاذب انتقم الله من الكاذب

وفي البيت الأول فصل بين الأمر «أرسوا» والمضارع الخبرى «نزاولها»
أى اثبتوا وأقيموا بهذا المكان لما ليج شئون الحرب ونحوها لخوض
غمارها ، وفي البيت الأخير : أراد الدعاء بقوله : انتقم الله . وتلاحظ معنى
أن قوله نزاولها : علة وسبب للارساء فهو جواب الأمر وبينهما من العلاقة
ما بين السبب والمسبب والأمر وجوابه وشبهه كمال الاتصال ، واضح في
الفصل أيضاً : كما أن العلاقة بين الدعاء على المحبوس لزعمة كذب الشاعر
في حبه فيها شيء من الترتيب والتسبب أيضاً ، والجامع العقلى واضح أيضاً
في البيتين ، وعلى هذا فالعلاقة جد واضحة في شواهد هذا الضرب ،
وإنما التسمية بكمال الانقطاع اصطلاحية ، وإن كانت موهمة غير دقيقة .

وشواهد هذا الضرب القرآنية لا تكاد تنحصر ومنه قوله تعالى (بديع
السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة) الأنعام ١٠١
(ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلاً إنما عند الله هو خير لكم إن كنتم
تعلمون) النحل ٩٥ (ومن الفخل من ظلمها فتوان دافية وجنات من أعقاب
والزيتون والرمان مشتبهها وغير متشابهه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه)
الأنعام ٩٩ (وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ، إن الذين يستكبرون
عن عبادتى سيدخلون جهنم داخرين) غافر ٦٠ .

وشواهد هذا النوع تشمل المواطن التى جاءت الأخبار فيها الأوامر
بعيد الأوامر والنواهي والاستئناف لشبهه كمال الاتصال خير به
الفصل لوضوحه .

عطف الجملتين المختلفتين خبراً وإنشاءً :

والواقع أن ما اختلفت فيه الجمل خبراً وإنشاءً : الأصل فيه والغالب في أساليب الفصل ومن غير الغالب : فهناك أساليب قرآنية عطف فيها الخبر على الإنشاء أو العكس ظاهراً وكانت موضع أخذ ورد بين العلماء منذ سيبويه ، ذلك أن هذا العطف في الجمل التي لها محل من الإعراب جائز لا خلاف فيه بين العلماء ، كقوله تعالى « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » وهذا غير ما ذكره السكاكي من جواز عطف المختلف خبراً وإنشاءً إذا اشتمل المقام على ما يزيل الاختلاف من تضمين الخبر معنى الطلب ، أو الطلب معنى الخبر ، مع الاشتراك في الجهة الجامعة كقوله تعالى « وإذا أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحساناً وذو القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسناً » البقرة ٨٣ ، إذ لا يخفى أن قوله « لا تعبدون » متضمن معنى : لا تعبدوا وهو موضع التوسط بين السكاكين (١)

أما عطف ما اختلف خبراً وإنشاءً ، في الجمل التي لا محل لها ، فقد كان موطن خلاف . أجازته كثير من النحاة كالصغار وجاعة وقتل أبو حيان عن سيبويه جواز عطف المختلفين بالاستفهام والخبر في نحو : هذا زيد

(١) المفتاح ٢٥٨ .

ومن عرو؟ ومنعه كثير من البلاغيين وبعض النحاة كابن مالك وابن مصفون.

وقال السبكي هنا : يجب الفصل بلاغة^(١)

وقد تأول علماء البلاغة النصوص التي ظاهرها عطف الخبر على الإنشاء - فيما لا محل له - تأويلات تسلم به قاعدة الفصل بأن يكون من عطف مضمون جملة أو مضمون كلام على آخر أو من عطف القصة على القصة - وهو رأى الزمخشري . أو العطف على مقدر دل عليه السياق ، والإجمال هنا لا يفنى عن التفصيل والتحليل والموازنات ، ذلك أن ذكر الواو وسقوطها ، وإن دار الكلام فيه على الجواز فيما له محل من الإعراب لم نجد له تفسيراً بلاغياً أعنى لظاهرة ذكر الواو قليلاً وتركها كثيراً ونعالج ذلك من خلال الأفعال والله المستعان .

الفعل نعم^(٢) :

قال الله تعالى « ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب » ص ٣٠
وعن أيوب « إنا وجدناه صابراً نعم العبد إنه أواب » ص ٤٤

وعن موقف المؤمنين من تولى الكافرين « وإن تولوا فاعلموا أن الله مولاكم نعم المولى ونعم النصير » الأنفال ٤٠ . وعن موقفهم من احتشاد الكفر ضدهم « الذين قال لهم إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيماناً وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » آل عمران ١٧٣

(١) راجع عروس الأفراح ٢/٢٦ والاتقان ٢/٣٨٢ .

(٢) راجع المعجم المفهرس ٧٠٩ وفي المادة بعض الآيات تركناها اكتفاءً

بما ذكرنا .

ومن جزاءات الآخرة :

« متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب وحسنت مرتفعنا » الكهف -
٣٠ وقبلها من جزاء الظالمين « وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي
الوجوه بلئس الشراب وساءت مرتفعنا »

ومن جزاء الذين اتقوا وتعقبا عليه « وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده
وأورثنا الأرض فتبوا من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » الزمر ٧٤
وفي الثابئين من الذنوب « أولئك جزاؤهم مغفرة من ربهم وجنات
تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ونعم أجر العاملين » آل عمران ١٣٦
وقال تعالى « والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئهم من الجنة غرفا
تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين » العنكبوت ٥٨

ونلاحظ في الآيات التي عقيبت بال فعل نعم مدحا لبعض الأنبياء أو بيانا
لكمال التفويض من المؤمنين أو مدحا وبيانا لجمال الجزاء الأخرى
وعظمته نلاحظ أن جملة المدح جاءت بالواو والفاء وبدونها

ونبدأ بالآية « وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل » واللفظ حسب بمعنى
كاف إذا أضيف إلى ضمير المتكلم أو المتكلمين^(١) وجاء بعده لفظ
الجلالة فواضح فيه معنى الإخلاص والتفويض والدعاء المتبتل كقوله تعالى
« فإن تولوا قل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت » التوبة
« إن أرادنى الله بضر هل هن تمسكات ضره ، أو أرادنى برحمة
هل هن تمسكات رحمة قل حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون » الزمر ٣٨

(١) راجع المادة فى المعجم المفهرس ٢٠٠ ، ٢٠١ .

وحجىء هذه العبارة على ألسنة النبي الكريم والمؤمنين يدل على كمال
التضرع والتسليم ومنه « وقالوا حسبنا الله سيؤتينا الله ورسوله من فضله إنا
إلى الله راغبون » التوبة ٥٩

ونلاحظ هذا الفصل بين حسبنا الله لما فيها من معنى الدعاء فعلى إنشائية
وبين سيؤتينا لأنها خبرية . ولذا جاء الوصل بين حسبنا الله ونعم الوكيل
لأنهما إنشائيتان الأولى دعائية والثانية لإنشاء المدح وعليه فليستما من
عطف الإنشاء على الخبر .

أما آية التوبة ١٢٩ والزمر ٣٨ فما بعد لفظ الجلالة نعمت له جار عليه .
أما التعقيب على الجزاءات المرضية بما يفيد جلال هذا الجزاء وعظمته
تصويرا له ورغبا فيه فقد تنوع في القرآن هذا التعقيب المفخم أسلوبا كقوله
« وذلك الفوز العظيم أو والله ذو الفضل العظيم أو درجة منا أو نعمة من
عندنا أو نعم أجر العاملين مع تنوع في الصياغة تناسبها مع النسق أو الجملة
نعم أجر العاملين إذا جاءت بالفاء كآية الزمر ٧٤

والفاء فيها الترتيب والتعقيب وشيء من السببية تفخيم للجزاء . ونلاحظ
اختلاف فاعل القول فهو أولا « تقبوا من الجنة ... » المنعمون والثاني :
« من جهة الحق سبحانه أو على ألسنة الملائكة ومنه » سلام عليكم بما
صبرتم فنعم عقبى الدار » الرعد ٢٤

وقوله تعالى : ولقد نادانا نوح فلنعم الحبيبون » كما أن التعقيب حين
يعطف على الجزاء بالواو فهو لون من التفضيم والتكريم وإن كانت العبارة
في ذاتها دالة على دوام البطالة كما قال « للذين آمنوا حسنتوا الحسنات وزمادة »

وعلى التكريم وتفريخ قلوبهم كما قال الرازي^(١)
 وزيادة التفتيح واضح جدا في آية النحل « ولدار الآخرة خير ولنعمهم
 دار المتقين » بلام التأكيـد وواو المعطف .
 أما آية آل عمران « ونعم أجر العاملين » فقد جاءت الواو - والله أعلم -
 لتبين أن جزاء التائبين « والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا
 الله فاستغفروا الذنوبهم » الآية .
 هذا الجزاء وإن قل عن جزاء المتقين « جنة عرضها السموات والأرض أعدت
 للمتقين » فهو جزاء نغم في ذاته تناسبا مع قدرة الله ورحمته حتى
 لا يظن أن نزول رتبتهـم عن المتقين مؤثر كثيرا في عظيم جزائهم .
 أما آية المنكـبوت « نعم أجر العاملين » فقد جاءت على الأصل من
 الفصل ومثلها آيتا الكهف : متكئين فيها على الأرائك نعم الثواب .
 وفي الظالمين الذم : بشـ الشراب .
 ربما جاء على الأصل آيتا داود وأيوب نعم المبد : وقوله تعالى : فاعلموا
 أن الله مولاكم نعم المولى فقد أعرب أبو حيان مولاكم خبر إن ويجوز أن
 يكون رءطف بيان وجملة المدح خبر الله^(٢) وعلى الإعراب الأول تجرى
 الجملة على لفظ مولاكم حالا أو خبرا ثانيا .
 وفي الموازنة بين آيتي آل عمران والمنكـبوت يرى الإسكافي والكرمانى
 أن الآية في آل عمران مبنية على تداخل الأخبار والخبر إذا جاء بعد خبر .

(١) تفسير الرازي ٨٦/٢٥ .

(٢) البحر ٤٩٥/٤ .

في مقام تفصيل المواعب المرغب فيها فحقه أن يعطف على ما قبله بالواو .
فصار المعنى جزاؤهم ترك المؤاخذة بالذنوب ودخول الجنة والخلود فيها ،
وذلك تشريف وكرامة للعاملين ، أما في المنكبات قال الكلام فيها مدرج
على جملة واحدة هي تبوئة المؤمنين غرفاً في الجنة وهي جملة ابتداء وخبر
لم يعطف عليها بالواو لأن الجملة في موضع خبر المبتدأ كأنه قال ذلك نعم
أجر العاملين وتجري مجرى ما هو من تمام الكلام كقولهم ما يشاءون
عند ربهم ذلك هو الفضل الكبير ^(١) ويبدو أنهما لم يلحظا معنى الإنشاء
في نعم فاجراها مجرى الأخبار العادية .

صفوة القول أن الأصل فعل الجملة الإنشائية بنعم عما قبلها وإذا وصلت
بالواو فذلك للتنبيه على مزيد الأجر وجليل الجزاء وسابغ الرحمة فكان
الواو تفيد مزيداً من الانفعال بين المتعاطفتين .

وكان هذا الخروج عن المألوف في الصياغة كهذه الأحكام التي تخرج
عن مقتضى الظاهر كالالتفات وكدخول هل على الجملة التمجيدية وغير ذلك
عما يحدث مرّة فمرّة عقلية تستلزم الالتفات وتثير الفكر ومن عجب
أن يأتي الأسلوب بالواو في آية آل عمران الأولى لبيان إشراف الرحمة
والمنة والفضل للتائبين والثانية في قوم بلغوا أنفسهم الله وعين حدوا بأن
المشركين الباطل عليهم « فزادهم إيماناً » فشهود الإيمان الصادق قد تسمى
وربما في حدودهم استعملوا للجهنم في سبيل الله وقالوا حسبنا الله ونعم الوكيل
فجمع التفويض ثناء على الله والآية ذكرت ما نطقوا به تكريماً لهم وضرها
للاُسوة بالبادرة لأصحاب النبي صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم ^(٢)

(١) راجع في معنى الآيتين ومناسبتيهما أبا السعود ٨٧/٢ ، ١٥٣٤/٢

وهذا لا يمنع أن الاختلاف خبراً وإنشاء كما أجازهُ الزمخشري وصرح
صاحب الأطول لا يمنع العطف فيما له محل من الإعراب^(١) وفي البحر :
« يشترط التناسب في عطف الجمل بل قد يعطف الإنشاء على جملة الخبر
والعكس خلافاً لمن يدعى التناسب »^(٢) ومعنى التناسب القشاك بين
الجمل خبرية أو إنشائية وليس مراده المناسبة أو العلاقة الجامعة .

(١) الأطول ٨/٢ .
(٢) البحر ٨/٣٤٢ .

الواو بين الجمل المختلفة خبرا وإنشاء ولا محل لها

الفعل بشر :

جاءت الواو بين الجمل المختلفة خبرا وإنشاء وهي لا محل لها وقد أطلق على هذه الواو أنها استثنائية وللابتداء والقطع ورجح الزركشي أنها واو العطف ولكنها لا تفيد التشريك في الحكم لا نفيا ولا إثباتا ولا في الإعراب بل هي مجرد الربط وللزحشرى وجه من رأى فيها حلا بمناصفة تأويله لآية البقرة وآية الصف :

قال تعالى : « وإن كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التى وقودها للناس والحجارة أعدت للكافرين وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجرى من تحتها الأنهار . . » الآية . البقرة ٢٣-٢٦ وقال تعالى عن الإيمان والجهاد وجزائهما « يغفر لكم ذنوبكم ويدخلكم جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك الفوز العظيم وأخرى تحبونها نصر من الله وفتح قريب وبشر المؤمنين » الصف ١٢ ، ١٣ .

والزحشرى يرى أن الواو كما فى آية البقرة قد تجيء بين قصتين بأن تعطف مجموع جمل مسوقة لفرض على مجموع جمل أخرى مسوقة لفرض آخر

فيعتبر حينئذ التناسب بين القصتين دون آحاد الجمل قال السيد « وقد
انفرد في الكشف بذلك إذ عطف الأمر يحتاج إلى ما يشاكله من أمر
ونهى حتى يصح العطف ، وتبعه أبو البقاء والرازي وأبو حيان كما أجاز
في الكشف أن بشر معطوف على اتقوا وتبعه الرازي وضمفه أبو حيان
لأن عطف الأمر لمخاطب على الأمر لمخاطب آخر ، يحسن إذا صرح بالنداء
وإلا فقد منعه النحاة ورأى السكاكي أنه معطوف على قل مقدرا قبل
« يا أيها الناس » ورد بأن قوله تعالى : « وإن كنتم في ريب » لا يصلح
أن يكون مقولا للنبي صلى الله عليه وسلم ، واختار القزويني أنه عطف على
مقدر أي فأندر وبشر كما قال في الكشف « واهجرني مليا » أي
فاحذرني واهجرني. قال السيد وهذا أحسن ما قيل ههنا » والسيد يشير إلى
إفادة القزويني من الزمخشري على العموم وإن بدا أنه رأى مستقلا وقد أيد
الدكتور محمد أبو موسى - في دراسته الجادة - الزمخشري في جعله الواو
هنا ونظائرها من عطف القصة على النصة ، ولا شك أن فكرة عطف
المضمون فكرة اجتهادية تتناسب وما قاله العلماء في التناسب بين الآيات
القرآنية وهو ما أشار إليه الدكتور محمد عبد الله دراز فيما سبق (١) .

وأما آية الصف عطف وبشر على تؤمنون لأنه بمعنى آمنوا وهو رأى

(١) راجع في الآية : الكشف بحاشية السيد ٢٥٤/١ والرازي ٢/٢٢٧
والمبصر ١١٠/١ والمفتاح ٢٥٩ وبغية الايضاح ٨٧/٢ والمطول ٢٦٣ والاطول
١٨/٢ ودلالات التراكيب ٣٤٦ والاتقان ٢/٣٨٢ .

(٢) (آية الصف) (الرومل) (الصف)

لما زادوا كفرا لم يكن الله ليفقر لهم ولا ليهديهم سبيلا بشر للمنافقين بأن لهم عذابا أليما ، النساء ١٣٧ ، ١٣٨ وأمنل الآراء فيها ما ذكره الرازي فاقلا أن الآية الأولى في المنافقين لتقلب حالهم ، والثانية في جزائهم ^(١) . وكان الآية الثانية منصلة بالأولى على طريقة نسبه كمال الاتصال والتداعي النفسى كأنه قيل : ما جزاؤهم ؟ فذكره بادئا بالتهكم بهم بذكر بشر بدل أنذر ، وبذكر وصفهم القبيح ومكانهم وتهديدا لسوء الجزاء .

وقال تعالى من آية الدين « ولا يضار كاتب ولا شهيد وأن تفعلوا فإنه نسوق بكم وأتقوا الله ويعلمكم الله والله بكل شيء عليم » .

والعلماء على أن الأرجح في « ويعلمكم الله » أنها مستأففة لا موضع لها من الإعراب ، وقيل في محل نصب على الحال من الفاعل أى اتقوا الله مضمونا لكم للتعليم والهداية ، وهو بعيد والجل الثلاث الأخيرة كل منها مستقلة بنفسها - كما قال أبو حيان - لا تحتاج إلى ربط الضمير بل اكتفى فيها بربط حرف المطف ، وايسست في معنى واحد ، فالأولى حث على التقوى والثانية تذكير بالنعمة ، والثالثة تتضمن الوعد والوعيد ، قال : وفيه رد على من يمثل بها على أن التقوى تورث العلم دون تعلم « يعنى رحمة الله : أن القرآن لو أراد هذا المعنى لحذف الواو وجعل « يعلمكم الله » جوابا للأمر بالفاء أو بدون عاطف بل الآية تذكير بنعم الله المتعلقة بالتعلم بمطلق الأشياء

I I

من المهد إلى اللحد تيسيراً للحياة وانقطاعاً بالكون . أما العلم فهو أساس
الإسلام وأساس التقوى ، والتقوى سبب من أسباب التوفيق في شئون
العلم والحياة جميعاً . وإعادة لفظ الجلالة في الجمل الثلاث تعظيماً لأمره
وتوجيهاً للمهابة وإدخال الروعة . أمراً بفقواه ، ومنناً بمنه تعالى بنعمه ،
وولعناً ووعيداً بمجازاة عادلة للفاسق والمبغض^(١) تعظيماً لشأنه ، ويرى
البيضاوى وتابعه الشهاب أن قوله « ويطعكم الله » وعد بالإتمام أى لإنشاء
الوعد والجملة الثالثة لإنشاء المدح والتعظيم^(٢) .

والرأى بأن الجملة بين الأخيرتين لإنشاء الوعد والتعظيم ، لا يدل عليه
النسق أو القرائن فهم وتأويل للفظ بوجه متكلف . والرأى ما تقدم من
أن الواو مجرد الرّبط اللفظى ، والجمل مستأنفة وبينها رباط معنوى ،
يسبغها سبكاً واحداً ، كده تكرار لفظ الجلالة فيها مستنداً إليه ومفعولاً
به للأنشاء .

ومما جاءت فيه الواو للاستئناف ربطاً بين جملتين قوله تعالى : عن
المشابهة في القرآن الكريم « وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم
يقولون آمنا به كل من عند ربنا » آل عمران ٧

(١) راجع فى الآية البحر ٣٥٤/٢ ومعنى الآية فى الرازى ١٧/١١٩

وإبى السعود ١/٢٧١ .

(٢) حاشية الشهاب على البيضاوى ٣٥٢/٢ .

رجح أبو حيان أن الجملة : والراسخون مستأنفة والواو للاستئناف
خفى لمجرد الربط ذلك لأن الله مدح الراسخين لقولهم آمنا به . ولو كانوا
طالبين بتأويل المتشابهة على التفصيل لما كان في الإيمان به مدح ، وهو قول
ابن مسعود وأبي ، وابن عباس ، وعائشة والحسين ، وعروة ، وعمر بن
عبد العزيز وحشد من التابعين والعلماء وهو يرد على رأى الزخشري والمنزلة
ومن اتبعهم في إدراك العلماء للمتشابهة بالتأويل وعليه فالراسخون معطوف
على لفظ الجلالة وجملة يقولون : حالية .^(١)

ولعلك أدركت الآن من إزجائنا لهذه الشواهد أن واو الاستئناف
التي تأتي للربط بين جملتين مختلفتا خبرا وإنشاء لا يجوز أن تطبق عليهما
رأى الكشف من أنه عطف مضمون جملة على جملة إذ توهم ذلك بين
الفاعلين المختلفين لا مساغ له كما ذكر سيد شريف الذي حمل الشاهد
المصنوع الذي ساقه الزخشري وهو : زيد يعاقب بالقييد والإرهاق وبشر
عمرا بالعمو والإطلاق ، فيبدو أن هنا جملة واحدة عطف في الظاهر على
ما ليس يصح عطفها عليه من عطف الإنشاء على الخبر فيما لا محمل له
والجواب كما قال الشيد الشريف : أنه أشار بما في كره إلى قضيتين متقابلتين
فكما أنه قال : زيد يعاقب بالقييد والإرهاق فما أسوأ حاله وما أخسره فقد
ابتلي وأحاطت به سيئاته إلى غير ذلك مما يناسبه ، وبشر عمرا بالعمو
والإطلاق فما أحسن حاله ؟ وما أنجاه وأربحه ... إلى أشياء أخرى تليق

(١) راجع في الآية الكشف ٤١٣/١ والبحر ٣٨٤/١ ودقائق التفسير

لابن تيمية ٩١/٢ جميعه د . محمد الشيب والبرهان ١٠٣/٤ د .

بتلك البشارة» (١) وعلى هذا فرأى الكشاف مقيد بالقصص ونحوه من الكلام للشتم على جل .

ويتصل بهذا أن كثيراً من القصص القرآني جاء بالوار وقليلاً منه جاء بدون الواو كما أن الكلام المستأنف الجديد عن سابقه جاء بالواو وبدونها ولا شك أن هذا يحتاج إلى تتبع واع دقيق ، فإن لكل سياق دلالة الخاصة وإجماع واقتضاء المعين الذي يوجب ذكر الواو أو تركها ثم إن مجيء الواو صدر القصص ينبي عن علاقة بين المقاطعات في القصص من إفاضة العبرة والتأمل ، والوعد والوعيد وتثبيت قلب النبي صلى الله عليه وسلم وهذا كثير جداً نحو « واذكر في الكتاب مريم ، واذكر في الكتاب إبراهيم ، واذكر في الكتاب اسماعيل في سورة مريم ومن المتشابه ما ذكره الكرماني في تعليل سقوط الواو في قوله تعالى : « لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه » الأعراف ٥٩ بدون الواو ، واذكرها في « ولقد أرسلنا نوحاً » في هود ٢٥ والمؤمنين ٢٣ .

لأنه لم يتقدم الأعراف ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم فيكون هذا عطف عليه ، بل هو استئناف كلام ، وفي هود تقدم ذكر الرسول صلى الله عليه وسلم مرات ، وفي المؤمنين تقدم ذكر نوح عليه السلام ضمناً في قوله : « وعلى الفلك تحملون » ١٢ . لأنه أول من صنع الفلك ، فعطف بالسورتين بالواو (٢) .

(١) راجع حاشية السيد على الكشاف ٢٥٤/١ .
(٢) أسرار التكرار ٨٢ وحاشية الشهاب ١٧٨/٤ .

ومن ذلك ما ذكره العلامة الطيبي في شرح الكشاف عن قوله تعالى
من سورة البقرة « يسألونك ماذا ينفقون » آية ٢١٥ « يسألونك عن الشهر
الحرام » آية ٢١٧ « يسألونك عن الخمر والميسر » آية ٢١٩ « ويسألونك ماذا
ينفقون » آية ٢١٩ « ويسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم خير » آية ٢٢٠
« ويسألونك عن الحيض قل هو أذى » آية ٢٢٢ .

وجه العطف والترك على ما في الانقيصاف هو أن أول المعطوفات
« ويسألونك ماذا ينفقون » — و ذات السؤال الأول بدون واو لـكنه
أجيب بالمصرف الأثم وإن كان المستول عنه المتفق ، ثم أعيد ليدكر
السؤال عنه صريحاً وهو العفو الفاضل عن حاجته فيتعين عطفه ليرتبط
بالأول ، والسؤال عن اليتامى لما كان له مناسبة مع المنفعة باعتبار أنهم
إذا خالطوهم أتفقوا عليهم عطف على ما قبله ، ولما كانوا اعتزلوا عن مخالطة
اليتامى فاسب ذكر اعتزال الحيض ، لأنه هو اللائق بالاعتزال فلذا عطفه
لارتباطه بما قبله وإذا نظرت إلى الأسئلة الأول وجدت بينها كمال المناسبة
لذ المستول عنه : الذقة والقتال والخمر فذكرت رسالة غير متعاطفة وهذا
من بدائع البيان كما قال الشهاب^(١) .

وعلى هذا فالانفاق في الفرض الخاص أو المعنى الظاهر مع الاتفاق في
الأسلوب وطريقته هو الذي يسوغ العطف أو وجود الواو الرابطة فإن قلنا
ذلك ولم يبق إلا التقاء في الفرض العام بما يمكن أن تتم به معالجة الفكرة
من نواحيها كان الفصل والقطع وتأمل ما قاله العلماء عن وجه الربط بين

^(١) في حاشية الشهاب ٣٠٧/٢

(١) وراجع حاشية الشهاب ٣٠٧/٢

قوله تعالى « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » بعد آية الكتاب وأنه هدى للمتقين وصفات المتقين لوجزائهم . وقوله تعالى : بعد جزاء المؤمنين « إن الله لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا ففعلون أنه الحق من ربهم » الآية : البقرة .

وقد صدرت الجملتان « إن الذين كفروا » « إن الله لا يستحي » إشعاراً بالانقطاع ومعنى سيد شريف أن يكون استثناء وقع جواباً عن سؤال وتضعيفه أن يكون كذلك متابعة لازمة شري والسكاكي وجع الشهاب والشيخ دراز أنه استثناء بياني^(١) ويؤيده ما كثر في نظائره القرآنية من الجمع بين التقابلات في النماذج والأحداث والأعمال والصفات والجزاءات دون عاطف قوة في الجزالة تصويراً وتداعياً للمعاني نفسياً بمعنى الإثارة والنظرية والجذب الأسلوبى .

وفي الآية : إن الله لا يستحي : فيها وجهان من الارتباط كما نقل الشهاب الأول ربطها بقصة المنافقين وتمثيلهم « مثلهم كمثل الذى استوفد فارقاً » فهو تمثيل ثان يدخل منه المنافقون دخولاً أولياً والثانى : أن الآية مرتبطة بآيات التحدى بالقرآن ذكرت لدفع الطعن عنه بعد ثبوت إيجازه وقال الطيبى نظم الآية بما قبلها نظم قوله إن الذين كفروا سواء عليهم .. الآية . فى كونها جملة مستطردة والاستطراد من أدق وجوه الارتباط .

(١) راجع حاشية السيد ١٤٩/١ وحاشية الشهاب ٢٥٨/١ والنبا

وفكرة الاستطراد في الآيتين واهية جدا لا تناسب النظم القرآني وتناقضه وتناسبه المضوى والأرجح رأى الرازى الذى جعله الشهاب وجها ثانيا من وجهى الارتباط ، كما يبدو من تحليل الرازى لأن ، ونقله عن عبد القاهر فى وجوه استعمال إن فى تفسيره للآية الأولى إن الذين كفروا ما يشير إلى أنه يرى أنها جواب عن سؤال (١) .

وقد يختلف العلماء فى الواو بين كونها استثنائية أو حالية تتعلق بما قبلها كقوله تعالى « ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق » (٢) فىرى الرازى أن الواو ليست عاطفة للتخالف الجملتين الإسمية والفعلية ، وليست للاستثناء لأن الأصل أن الواو تربط ما بعدها بما قبلها فيبقى أن تكون للحال وقال أبو حيان : « الجملتان لا محل لها وتضمنت معنى التعليل كأنه قيل لفسقه » وغدمه أبو السعود وذكر القول بالحالية بصفة التمريض .

على أن التخالف بين الإسمية والفعلية لا تمنع العطف ، صحيح من أن من تمام التناسب اتفاق الجملتين فى الإسمية والفعلية لكن قد يخالف هذا الأسرار بلاغية توجب الخروج عن المألوف حين يراد من الإسمية إفادة النبوت والدوام نزولا على مقتضى المقام تأمل قوله تعالى « أولم يروا

(١) راجع الرازى ٣٦/٢ ، ١٣١/٢ والشهاب ٢٦٠/١ ، ٨٢/٢ .
(٢) الأنعام ١٢١ وراجع فيها الرازى ١٦٧/١٣ وليس فيه رأيه الذى نقله السيوطى فى الاتقان ٣٨٣/٣ وراجع البحر ٢١٣/٤ وأبا السعود ١٨٠/٣ .

إلى للطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن « المالك ١٩ لأن الأصل في الطيران هو صف الأجنحة ، لأن الطيران في الهواء كالسباحة في الماء والأصل فيها — كما يقول في الكشف — مد الأطراف وبسطها ، أما القبض قطارى ، على البسط للاستظهار به على التحرك على معنى أنهم صافات ويكون منهم القبض قارة بعد قارة والمشهد يبدأ بالسكون الكامل أعان عليه المد في صافات ثم حركة حية بعدها ^(١) . وتلاحظ في جرس يقبضن بالقلقلة في القاف وتوالي متعلمين مقلتين تصوير الحركة في قوة وسيطرة وانتظام .

وتأمل التهديد الرهيب لطوائف النصارى أو اليهود والنصارى في شأن عيسى وأمه عليهما السلام وإن جاء بالقاء قال تعالى : « فاختلف الأحزاب من بينهم فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم » مريم ٣٧ وهو يوم الهول الأعظم دلالة على ثبوت الويل والنبور أبداً وذكر كفرهم إفادة لعللة الحكم واستحقاق الجزاء ^(٢) .

(١) راجع الكشف ١٣٨/٤ ونظم الدرر ٢٥٣/٢٠ والتصوير الفنى

(٢) راجع أبا السعود ٦٥/٥ .

النوع الثاني من كمال الاقتطاع :

انتفاء الجامع بين الجملتين بسبب انتفائه عن المسند إليه أو المسند
فيهما كقولك : زيد طويل وعمر قصير إذا لم يكن بين زيد وعمر
علاقة ما ، وقولك ومحمد فائم إذا لا علاقة بين الطول والقوم . وانتفاء
العلاقة والمناسبة يعنى أنه لا مكان للواو ، اضياع المناسبة والتشريك ، غير
أن هذه المناسبة خاصة ، وهذا الجامع جامع نوعى خاص ، وننبه هنا إلى
أمرين :

الأول : أن ضياع المناسبة العامة والخاصة بين أجزاء الكلام ضرب
من البتر والخلط ، لا يقع فى كلام العقلاء ، وقد يحدث لبعض الشعراء أن
تدركهم بعض الآفات النفسية فيغيب الوعى أو تهمد العاطفة ، فتجد
الاقتضاب أو التخلص المستكره . بسوق الكلام سوقا دون رباط سواء
جاءت الواو أم سقطت . وقد يحدث هذا عند كبار الشعراء كالمتنبى حين
يقول :

أعز مكان فى الدنيا صرح ساج وخير جليس فى الزمان كتاب
وبحر أبو المسك الخضم الذى له على كل بحر زخرة وغياب
فأى مناسبة بين فجع الكتاب وكرم أبى المسك كافور
وقوله :

أحبك أو يقولوا جر نمل ثبيرا أو ابن ابراهيم ريبا
وقول أبى تمام :

لا والله هو عالم أن النوى - - - - - بر وأن أبا الحسين كريم

وقول المتنبي فيما نقل صاحب الوساطة من مأخذه :
 جللا كما بي قلبك التبريح أغذاء ذا الرشا الأغن الشيع
 وقد أنكر أصحاب المعاني قطع المصراع الثاني عن الأول في المناسبة
 بين شكواه من تعذيب التبريح والهوى له وبين استفهامه عن غذاء الحبيب
 . وأنه عربي قح من سكان البادية . وخيانة الطبع ، وسقطات الشعر لا ينجو
 منها شاعر موهوب ، ومثله شعر الحكمة والنصائح قد تجد حشدا من
 النصائح المتفاوتة لا يجمعها إلا أنها نصائح كما تجد عند أبي العتاهية من
 قوله مثلا :

لا خير في حشو الكلام إذا اعتدلت إلى عيوته
 كل امرئ في نفسه أعلى وأشرف من قرينه
 وقوله :

لأعيا المرء بأصغريه كل امرئ رهن بما لديه^(١)
 الثاني : أن الجامع فوعان : جامع خاص ، ومناسبة خاصة وهي التي
 تصحح العطف ويوجد حيث توجد ، والثاني جامع عام . وعلاقة عامة
 تصحح ربط الكلام . والتأوه ببعضه ، وسلامة قياسه وهو كثير جدا في
 القرآن يعتمد على إثارة كواهن النفس وتدهي المعاني والتصوير بالتضاد
 والمقابلة بحيث تكون المعاني أخيرا كلاما مفصلا الأجزاء متداخل الظلال
 كقول الله « ذلك جزاؤهم جهنم بما كفروا ، وأنحنينا آياتي ورسلي هزوا

(١) راجع الوساطة ٢٤١ وما بعدها . وجواهر البلاغة ٢٠٤ .

إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات كانت لهم جنات الفردوس نزلاً ﴿٢٢﴾
وقل تعالى « وقل الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ، ومن شاء فليكفر
إنا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها وإن يستغيثوا يغاثوا بماء
كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب وساءت مرتفعاً إن الذين الذين آمنوا
وعملوا الصالحات إنا لا ننزع أجر من أحسن عملاً » (٢) « أولئك لهم
العزة ولهم سوء الدار الله ييسط الرزق لمن يشاء ويقدر » (٣) وقال تعالى :
« الرحمن علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ، الشمس والقمر بحسبان » (٤)
فالعلاقة الخاصة بين المسند إليه - والمسند في الجملتين معدومة ، لكن
المناسبة العامة جليلة لأن الشمس والقمر وما عطف عليهما أتر من أثار
القدرة والرحمانية .

وفي سورة الحديد تتابع صفات الله وأثار صفاته . بدء السورة وآثار
الصفات المتفرعة عن الصفات ولذا يجوز في غير القرآن إظهار العلاقة التي
تذكرها النفس في أثارها في شكل علاقة لفظية هي الفاء .

كقول الله : « وهو العزيز الحكيم ، له ملك السموات والأرض يحيى
ويميت » (٥) « له ملك السموات والأرض وإلى الله ترجع الأمور ، يولج

(١) الكهف ١٠٩ ، ١٠٧ .

(٢) الكهف ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) الرعد ٢٥ ، ٢٦ .

(٤) الرحمن ١ - ٦ .

(٥) الحديد ١ ، ٢ .

بالمليل في النهار ويوجل النهار في الليل»^(١)

والواقع أن توزيع الحروف في القرآن كاللوار والقاء وم ، أو تبادلهما أو إسقاط بعضها وبحجى الأسلوب على الاستئناف في كل ما تشابه فيه السياق أو لم يشابهه في كل ذلك محتاج إلى دراسة جادة تكشف النقاب عن أسرارها ومع الطاقة وتتابع ما بدأه الله في أصرار التنزيل .

ونكتفي هنا بشاهد أو شاهدين : قال تعالى في سورة ق ٢٢ - ٢٨ « لقد كنز في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد وقال قرينه : هذا ما لي عتيد ، ألقيا في جهنم كل كفار عنيد ، مناع للخير معتقد مريب الذي جعل مع الله إلها آخر فآلقياه في العذاب الشديد قال قرينه ربنا ما أطغيته ولكن كان في ضلال بعيد » .

قال الكرمانى : الأول خطاب الإنسان من قرينه ومقتل بكلامه :

والثاني : استئناف . خطاب الله سبحانه به من غير اتصال بالخطاب الأول وهو قوله « ربنا ما أطغيته » ولذا جاء جوابه ألقيا هنا من غير واو : لا تخضعوا لى^(٢) ويقرب أن يكون الأول من عطف أحداث متصلة بالإنسان والثاني يشبه أن يكون شبه كمال اتصال على تقدير سؤال فإذا قال القرين بعد إلقاء الإنسان الكافر في جهنم وبهاذا لتنوع الخطاب واتجاؤه وجهة أخرى بين الله والقرين^(٣) ومنه قول الله ٦٠ الأنعام : « قد كذبوا بالحق لما جاءهم فسوف يأتهم أنباء ما كانوا

(١) الحديد ٥ ، ٦٠ .

(٢) انظر أسرار التكرار : للكرمانى ١٩٦ .

(٣) انظر البيضاوى : الشهاب ٨/٩٠ .

به يستهزئون ، ألم يروا كم أهلكتنا من قبلهم من قرن مكثناهم في الأرض
ما لم نمكن لهم « وجاء هنا ألم يروا بدون عاطف لا لاختلاف الجملتين
خبرا وإنشاء بل لقصد الاستئناف والاستدلال على إهلاك المكذبين وفي
الاستفهام تقرير وتوبيخ ، وقد جاء هذا التعبير في آيات متشابهة يواو
المطف أو بالغاء مؤخر عن الهمزة لتصدر الاستفهام .

« أو لم يروا كم أهلكتنا ، ألم يروا حيث يراد العطف بالواو أو الغاء
لشدة الاتصال بما قبلها وحين يراد بالرؤية المشاهدة ولذا يقدر المعطوف
عليه جملة محذوفة أى اكذبوا ، ولم يروا أى لم يشاهدوا مصارع المكذبين
وبينها آية الأنعام الفعل يرى بمعنى يعلم ويعتبر ويستدل فانظر كيف كان
ذكر حرف أو محذوفه دالا على حشد من المعاني الخاصة التى تتعلق به ^(١)

(١) انظر المرجع ٦٥

الوضع الثانى من مواضع الفضل : كمال الاتصال :

بأن يكون بين الجملتين اتحاد تام ، وامتزاج معنوى كأنهما أفرغا في قالب واحد ، بحيث تنزل الثانية من الأولى منزلة نفسها كأن تكون توكيدا لها أو بمنزلة التوكيد اللفظى أو المعنوى أو عطف البيان .

والتلاحم هنا بين الجملتين قياسا على الاتصال الشديد الذى يكون بين المفردات فى التأکید اللفظى أو المعنوى أو عطف البيان فلا يمكن العطف فى قولك : جاء محمد أو أنت أنت قائم : أو جاء محمد نفسه ونجح القوم كلهم وسجد الملائكة كلهم أجمعون . وقت الليل نصفه ، وذاكرت الكتاب ثلثه وجاء العالم محمد وتولى الخلافة أبو حفص عمر ، وذو النورين عثمان ، وفارس عدنان على رضى الله عنهم ، لأن التابع عين المتبوع والشئ لا يعطف على نفسه إذ لا مغايرة بينهما حتى تأتى بالواو وهكذا فى الجمل التى تكون على أسماء ثلاثة :

١ - أن تكون الثانية بمنزلة التوكيد من الأولى ، دفعا لتوهم التجوز والغلط وهو قسمان :

أن تنزل منزلة التوكيد المعنوى ، فتفيد التحقيق والتقدير مع الاختلاف فى المعنى ، لكن يلزم من ثبوت معنى أحدهما ثبوت معنى الأخرى كقوله تعالى : « أ لم ، ذلك الكتاب لا ريب فيه ، هدى للمتقين »^(١) فهذه ثلاث

(١) البقرة ١ ، ٢ وراجع الكشف ١/٢٢٢ .

جل : جاءت الأولى معرفة الطرفين اذفقد أن الكتاب بلغ النافية التصول
من الكمال وزفة القدر والمنزلة ، تقريراً لجهة التعدى .

ويترتب على ذلك أنه لا يحوم حوله ريب إلا جزاءاً ، أو قبل تأمله .
فأتبعه : لا ريب : أى بلوغه الغاية من الكمال ، وأنه من عند الله ،
وقوله هدى للمعتمين تأكيداً ، إذ معناه أنه ذروة الهداية حتى كأنه
ذاته هداية محضة . وهذا مفاد من الأخبار بالمصدر : أى هو كما تقول
هو عدل وذوق .

وهذا معنى قوله : ذلك الكتاب ، فهذه الجمل للثلاث نحو م حول حقيقة واحدة ومعنى واحد وهو كماله التام في النفع والهداية ومنه قول الله تعالى لقمان ٧ « وإذا نقلى عليه آفاته ولي مستكبرا كان لم يسمعها ، كان في أذنيه وقرا فيشهره بمذاب ألم » وهذا في النضر بن الحارث وكان عنيدا يلهي قريشاً بأساطير الأوائل . والجملة : كان لم يسمعها تترقى في معنى إعراضه وأنه لعدم تأثره والانتفاع به كأنها لم تصل سمعه ، وقد يكون سمعه صحيحا فبالغ وترقى في النفي بقوله كان في أذنيه وقرا ، فعدم سمعه - على التشبيه - خلل في أذنيه لا يستطيع السماع حتى وإن أراد ، فالعاني تعلقا في عن طريق اللزوم والتداعي .

والإكمال ورسم صورة كلية للاغراض ، والغا كيد كما يرى عبد القاهر
فيها واضح ، على أساس الاستئناف المفيد لتوكيد بين الجمل ، فان أعريت
(٧ - الوصل)

الذين حالين في محل نصب كانا بمنزلة للفرد^(١) ومخرجا عما نحن فيه. ومنه قول الله تعالى : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم إنما نحن مستهزئون »^(٢) قال الخطيب : لأن قوله : إنا معكم : معناه النبات على اليهودية ، وقوله « إنما نحن مستهزئون » رد للإسلام ودفع له منهم ، لأن المستهزى بالشئ المستخف به منكراً له ودافع له ، لئلا يكونه غير معتقد به ، ودفع تقيض الشئ تأكيداً لثباته ويحتمل الاستئناف : أى فما بالكم إن صح أنكم معنا توافقون أصحاب محمد يعنى شبه كمال الاتصال . وليس المراد أنهم يهود بل منافقون يتبعون اليهود في الكيد للإسلام ، والاتقاء هنا بطريق المفهوم والازم وفيه شاغل للذهن والفكر .

والقسم الثانى من التوكيد أن تنزل منزلة التوكيد اللفظى كقوله تعالى : « فهل الكافرين أمهلهم رويداً »^(٣) واللفظ متحد والمعنى أيضاً والتوكيد هنا بصور التهديد الحاد بالعقاب الأليم . وخالف بين اللفظين زيادة في التعبير والتسليية .

الثانى مما يكون من كمال الاتصال : أن تكون الثانية بدلا من الأولى والبديل يعنى أن الجملة الأولى غير وافية تماماً بالمعنى المقضى به ككونه عجيباً ولطيفاً ومثيراً أو قطعياً فتأتى جملة البديل لتكمل المراد وتستوفى المعنى قال تعالى . « واتقوا الذى أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وأنعامات

(١) راجع دلائل الإعجاز ١٥٠ والكشاف ٢٣٠/٣ وبغية الإيضاح

(٢) الآية ١٤ البقرة وراجع الكشاف ١٨٦/١ وبغية الإيضاح ٧٣/٢

(٣) الطارق ١٧ وراجع الكشاف ٢٤٢/٤

وعيون^(١) ففي الجملة الأولى أحوال امتداد الله بهم بالعم على عملهم لشغل
عقولهم وأنفسهم في تأملها واستعراضها ثم عددها لهم مركزاً على أخطرها
فكأنه شغل حواسهم كلها في دعوتهم وأبعاد المعنى في صورتهن ، والجملة
الثانية وهي تمثل بدل البيض من الالة في تسجيل النعم وتمديدتها وهم لا يقرنون
لا يملكون لها دفعا وقد تنزل الثانية منزلة بدل الاشتمال من متبوعه
كقوله تعالى :

« اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم جرأ وهم مهتدون »^(٢) وغالباً
في القرى التي تدمى إلى الله نجد المتبرفين الأغنياء هم القادرة وهم أحرص
الناس على الدنيا والمال ، كقول الله في سورة الزخرف : « وكذلك ما أرسلنا
من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ،
وإنا على آثارهم متبعون »^(٣) ولذا تكررت هذه القصة كثيراً وهي أنكم في
اتباع المرسل لا تتخسرون معهم شيئاً من دنياكم وترجعون محبة الاعتقاد وقد
وفيت جملة البدل بالفرض من فائدة عدم الخسارة المادية ومن ناحية أن
اللطيف نفسه في الهداية فهو خير كله . وقال تعالى : المؤمنون ٨٩ ، ٨٣
« بل قالوا مثل ما قال الأولون » قالوا الحمد لنا وكنا تراباً وعظاماً أئنا
لمبعوثون » والبدل هنا يصور هذا التمتع بغير والاستغراب من بعضهم في حال
غريب هو كونهم تراباً وعظاماً .

(١) الشعراء ١٣٢ - ١٣٥

(٢) يس ٢١ ، ٢٢

(٣) الآية ٢٣

والثالث أن تكون الجملة الثانية بيانا للاولى وتوضيحا وتفسيرا وهذا
يعنى أن في الأولى شيئا من الإيهام والغموض يحتاج إلى كشفه وإيضاحه
قال تعالى : فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد
وملك لا يبلى « طه ١٢٠ » فقد فصل جملة قال عما قبلها لكونها ترجمة عن
الوسوسة وتفسيرا لها .

ومنه : ما هذا بشر إن هذا ملك كريم « يوسف ٣١ » ويجوز أن
يكون مؤكدا .

ومنه : « وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ،
يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم »
٤٩ البقرة .

فيذبح الأبناء واستحياء النساء تفسير وتوضيح لسومهم العذاب .
ومثله ٦ إبراهيم « وإذ قال موسى لقومه : اذكروا نعمة الله عليكم إذ
أنجاكم من آل فرعون يسومونكم سوء العذاب ويذبحون أبناءكم
ويستحيون نساءكم » . قال الكرماني عليه رحمة الله « ذكر : تذبحون
بغير واو هيا (البقرة) على البدل من يهومونكم ، وفي الأعراف (يقتلون)
بدون واو وفي إبراهيم (ويذبحون) بالواو لأن ما في سورة البقرة والأعراف
من كلام الله فلم يرد تعداد المحن عليهم والذي في سورة إبراهيم كلام موسى
فعدد المحن عليهم ^(١) .

(١) قال في المطول : حيث أثبتت الواو وجعل التذبيح مشتقاً من
أوفي على جنس العذاب كأنه جنس آخر ولم يرد التفسير كالأول ٢٥٧ مطول

وكان مأموراً بذلك في قوله « وذكركم بأيام الله » ^(١) ويرى الشيخ عبد المتعال الصعيدي رحمه الله أن مواضع كمال الاتصال كلها يجب فيها ترك العاطف من ناحية النحوي لامن ناحية البلاغة وهو ملقفت إلى البهاء السبكي في هذا وتظيره كمال الانقطاع السابق وهذا شيء كأنه خارج على الإجماع البلاغي دون مبرر في . وسبق أن البلاغة استثمار لمعانى النحو والبأس لأسرار التراكيب المصممة على الأسن النحوي ، وما البلاغة إلا علاقات النحو في صورة راقية من التعبير ، ثم إن النحو أو غيره لا يمنع - حين يقتضي المقام - أن تكون الجملة المؤكدة معطوفة بالواو - والأصل كمال الاتصال . وهو اقتضاء قوي يخرج عن عموم القاعدة وهي أن الشيء لا يعطف على نفسه ، تأمل قول الله تعالى عن بلقيس « قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها ، وجعلوا أعزة أهلها أذلة ، وكذلك يفعلون » النمل ٣٤

والجملة تأكيد تبين أن ذلك الإفساد عادة ثابتة مستمرة لا تتغير ^(٢) وقال تعالى « وإذا قالت الملائكة يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين » آل عمران ٤٢ قيل كرر « واصطفاك » على سبيل التوكيد والمبالغة وقيل لا توكيد ولزغشمري رأى وهو اختلاف الاصطفاين اصطفاك أولاً حين تقبلت من أمك ورباك ، واختصك بالكرامة والطهارة مما قذفك به اليهود ، واصطفاك آخراً بأن وهب لك عيسى من غير أب ولم

(١) ١٨/٢٠ - ١٨/٢١ - ١٨/٢٢ - ١٨/٢٣ - ١٨/٢٤ - ١٨/٢٥ - ١٨/٢٦ - ١٨/٢٧ - ١٨/٢٨ - ١٨/٢٩ - ١٨/٣٠ - ١٨/٣١ - ١٨/٣٢ - ١٨/٣٣ - ١٨/٣٤ - ١٨/٣٥ - ١٨/٣٦ - ١٨/٣٧ - ١٨/٣٨ - ١٨/٣٩ - ١٨/٤٠ - ١٨/٤١ - ١٨/٤٢ - ١٨/٤٣ - ١٨/٤٤ - ١٨/٤٥ - ١٨/٤٦ - ١٨/٤٧ - ١٨/٤٨ - ١٨/٤٩ - ١٨/٥٠ - ١٨/٥١ - ١٨/٥٢ - ١٨/٥٣ - ١٨/٥٤ - ١٨/٥٥ - ١٨/٥٦ - ١٨/٥٧ - ١٨/٥٨ - ١٨/٥٩ - ١٨/٦٠ - ١٨/٦١ - ١٨/٦٢ - ١٨/٦٣ - ١٨/٦٤ - ١٨/٦٥ - ١٨/٦٦ - ١٨/٦٧ - ١٨/٦٨ - ١٨/٦٩ - ١٨/٧٠ - ١٨/٧١ - ١٨/٧٢ - ١٨/٧٣ - ١٨/٧٤ - ١٨/٧٥ - ١٨/٧٦ - ١٨/٧٧ - ١٨/٧٨ - ١٨/٧٩ - ١٨/٨٠ - ١٨/٨١ - ١٨/٨٢ - ١٨/٨٣ - ١٨/٨٤ - ١٨/٨٥ - ١٨/٨٦ - ١٨/٨٧ - ١٨/٨٨ - ١٨/٨٩ - ١٨/٩٠ - ١٨/٩١ - ١٨/٩٢ - ١٨/٩٣ - ١٨/٩٤ - ١٨/٩٥ - ١٨/٩٦ - ١٨/٩٧ - ١٨/٩٨ - ١٨/٩٩ - ١٨/١٠٠

(٢) ١٨/٦٠ - ١٨/٦١ - ١٨/٦٢ - ١٨/٦٣ - ١٨/٦٤ - ١٨/٦٥ - ١٨/٦٦ - ١٨/٦٧ - ١٨/٦٨ - ١٨/٦٩ - ١٨/٧٠ - ١٨/٧١ - ١٨/٧٢ - ١٨/٧٣ - ١٨/٧٤ - ١٨/٧٥ - ١٨/٧٦ - ١٨/٧٧ - ١٨/٧٨ - ١٨/٧٩ - ١٨/٨٠ - ١٨/٨١ - ١٨/٨٢ - ١٨/٨٣ - ١٨/٨٤ - ١٨/٨٥ - ١٨/٨٦ - ١٨/٨٧ - ١٨/٨٨ - ١٨/٨٩ - ١٨/٩٠ - ١٨/٩١ - ١٨/٩٢ - ١٨/٩٣ - ١٨/٩٤ - ١٨/٩٥ - ١٨/٩٦ - ١٨/٩٧ - ١٨/٩٨ - ١٨/٩٩ - ١٨/١٠٠

(١) أسرار التكرار ٢٧ .

(٢) الكشف ٤٢٩/١ والبحر ٤٥٦/٢ .

يكن ذلك لأحد من النساء^(١) وحسن هذا الرأي كثير من العلماء وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت افدوا اتقوا الله » الحشر ١٨ .

كرر الأمر الثاني بالتقوى تأكيداً للاول أو لا تكرر لاختلاف التقدير في متعلق التقوى في الفعلين فالأول : اتقوا الله في أداء الواجبات لأنه قرن بما هو عمل واتقوا الله في ترك المعاصي^(٢) :

وقال تعالى « كذبت قباهم قوم نوح فكذبوا عبدنا » القمر ٩ ككرر التكذيب لأنه قرن بما يجري مجرى الوعيد .

أو كذبوا تكديماً عقب تكذيب كلما مضى منهم قرن مكذب تبعه قرن فكذب^(٣) وكان فيه استيعاباً لهذا الامتداد الزمني المتناول من تكذيب الأجيال بدليل « ولا يلدوا إلا فاجراً كفاراً » . نوح ٢٧ وكثير من الآيات التي أولها اللداء على أن المكبر فيها له دلالة خاصة أو معنى معين أهمها بهذه الأحداث وأن لها هذا المعنى الجديد ، وفكرة التفاضل الفعلي قواه السبكي فالمكرر الظاهري : اصطفاه ثاب وتقوى ثانية وهكذا وقال « إن تسمية البعثة لها تأكيد مجاز لأن التأكيدي الاصطلاحي لا يفصل بينه وبين متبوعه »^(٤) .

(١) راجع الكشف ١٤٧/٣ والبحر ٧٣/٧ .

(٢) الكشف ٨٦/٤ والبحر ٢٥٠/٨ .

(٣) راجع الكشف ٣٧/٤ .

(٤) عروس الأفراح ٨٨/٣ .

وقد وضع الخفاجي القضية ونقل أن قولك « وحفك ثم حنك »
 للفظين يقتضى للتفاير ويفزل التفاير بين المؤكد والمؤكد منزلة التفاير بين
 الدائنين ، بوجه خطائي ، ولا يدعى التفاير الحقيقي كقوله تعالى « كذبت
 قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا » أى كذبوه تكذيبا عقب تكذيب
 قال ابن مالك فى التسهيل « فصل التوكيد بثم - إن آمن الهمس - أجود
 من الوصل وذكر بعض النحاة الفاء والزخشرى الواو فى الجائية واتفق
 النحاة أنه تأكيد اصطلاحى وكلام أهل المعاني فى إطلاقه غير سديد »^(١)
 وآية الجائية « إن نظن إلا ظنا وما نحن بمستيقنين »^(٢) قال فى الكشف
 زيد بنى ماسوى الظن تأكيد بقوله « وما نحن بمستيقنين »^(٢) وإن كان
 اللفظ مختلفا فهو تأكيد للمفهوم .

وقد تداخل مع عطف التأكيد عطف المكرر وهو منحصر فى القرآن
 على أوجه : تكرار اللفظ أو الفعل كقوله : « كى نسبحك كثيرا »
 وتذكرك كثيرا » طه ٣٣ ، ٣٤ وما سبق قريبا وتكرار للتعبير نحو - و
 « الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة » الحاقة ١ - ٤ .

وكذلك أو القارعة وقال تعالى « أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى »
 القيامة ٣٤ ، ٣٥ ولا يسمى تأكيد لأنه لم يجيء على صورة التأكيد من
 الاتصال ، وعدم الفصل ، بين المتبوع والتابع ، ومنه تكرار القصص

(١) راجع الشهاب ٩٠/٨ وبغية الإيضاح ٧٦/٢ .

(٢) الكشف ٥١٤/٣ .

القرآن ، كقصة نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم عدا بعض القصص كقصة يوسف ، والخضر وذى القرنين وأهل الكهف ، والتكرار مختلف عن التأكيد فهو لا لتصوير المعنى فحسب بل هو للتأسيس وإفادة معنى جديد وإن رأى كثير أن التكرار للتأكيد فى الآية : « كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون » التكاثر ٣ ، ٤ .

الجملة الثانية تأسيس لإبلاغ الثانية فى التهديد والإنشاء قال الزحشرى « وثم » دلالة على أن الإنذار الثانى أبلغ من الأول وأشد يريد بأبلغ من البلاغ والأداء لا البلاغة ونقل المفسرون عن الإمام على كرم الله وجهه : « كلا سوف تعلمون فى القبور . ثم كلا سوف تعلمون فى البيت غير ما بينهما بحسب المتعلق وتبقى ثم على بابها من المهلة فى الزمان ^(١) » .

وقالوا فى قوله تعالى « فهل الكافرين أمهلهم رويدا » الطارق ١٧ غير بين اللفظين صياغة لزيادة التسكين والتعبير والتسليمية للنبي صلى الله عليه وسلم ^(٢) .

وقضية التكرار فى القرآن واسعة متشعبة ليس هذا مجالها ونكتفى بالقول بأن التكرار مطلقا سواء تداخل مع التأكيد أم انفرد عنه وسواء واقع عند العلماء أم اختلف عنه التكرار فى أغلب مواطنه نازل على

(١) راجع الكشف ٤/٢٨١ والبحر ٨/٥٠٨ .

(٢) راجع الكشف ٤/٢٤٢ .

مقتضى المقام ، ونسمح لأنفسنا باستعمال التعبيرات المجازية فنقول : حين يحكى الموقف ويتوتر المقام ، وتتداخل المشاعر للنارة ، ويختد الأسلوب ويتوهج الانفعال وينتشر ويترق الحديث صاعدا على النبرة ، جهير النغمة ، ولذا يتكرر التعبير ليمتدح فيه الانفعال بحيث لو حذف المكرر لكان التعبير مبتورا كصيغة لم تتم ، أو جملة لم تكتمل ، ويتضح هذا فى مقامات التهويل والتفخيم والتعظيم بمهول معظم لا يدرك كنهه ، إنذاراً ملتبساً كما سبق فى « الحاقة ما الحاقة » « القارعة ما القارعة وما أدراك ما القارعة يوم يكون الناس كالفراش المبثوث » القارعة ١ - • وله مواقف أخرى كثيرة كقيام الدعوة إلى الله . حين ينتشر شعور الأمن والوعد والحب والحرص الأبيض المتلف على إيمان المدعويين ، إن نبض الداعية وأشواق فؤاده تنعكس على الألفاظ إشعاعاً إيمانياً حنوناً فيتكرر البداء دوماً يا قوم مثلاً « وقال الذى آمن يا قوم اتبعون أهدكم سبيل الرشاد . يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع » ظفر ٣٨ ، ٣٩ .

وانظر : التكريم وعفو الرحيم الودود وقامل موقع « ربك » فى النسق وما يؤديه من معانى الربوبية والتربية والنعمة والود والحث على التوبة « ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة ثم تابوا من بعد ذلك وأصلحو إنما إن ربك من بعدها لغفور رحيم » النحل ١١٩ .

أما تكرار الفعل فى جملة معطوفة فى الآية أو فى آية مستقلة فالعلماء على أنه لا تكرار لاختلاف التعلق كما سبق فى آية مريم « إن الله اصطفاك وآية التفاضل : اتقوا الله ولتنظر نفس ... » وآية التكاثر

وفي آية مستقلة مكررة كما في سورة الرحمن « فبأى آلاء ربكما تكذبان »
 التي جاءت إثر كل نعمة ظاهرة أو خفية ترغيباً في الاعتراف بها والشكر
 عليها قال السبكي لو كان ما يعود إليه الشيء واحداً لما زاد عن ثلاثة لأن
 التأكيد لا يبالغ بأكثر من ثلاثة أما هنا فقد ذكر الشيء في مقامات
 متعددة (١) .

واقفك النحاة على أنه تأكيد اصطلاحى وكلام أهل المعاني في إطلاقه
 غير سديد (٢) .

الثالث : — شبه كمال الانتطاع : وهو أن يفصل بين الجملة الثانية ،
 والأولى لأن عطفها يوم عطفها على غيرها ، ويوم معنى غير مراد .
 كقول الشاعر :

وتظن سلمى أنى أبغى بها — بدلا أراها في الضلال تهيم
 فلم يقل « وأراها » وهو احتمال أو افتراض لا يتقبله البيت لثلاثا يقوم
 السامع أنه مطوف على أبغى وهو غير مراد ، والبيت يحتمل الاستئناف
 المحبة كمال الاتصال . ومنه :

يقولون إنى أحل للضم عندهم أعوذ بربى أن يضام نظيرى
 ومنه على رأى قول الله : « وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا اانا معكم
 إنما نحن مستهزئون الله يستهزئ بهم » البقرة ١٤ فلو قال : والله : لاؤم

(١) راجع غزوس الأفراح ٣/٢١٩ والبرهان ٣/٢٢ والاتقان ٣/٢٢٩

(٢) راجع شروح التلخيص ٣/٨٨ والبيان ٢/٨٦ والشهاب ٨/٩٠

العطف على جملة قالوا ، والشرط قيد ويكون المعنى : أن الله يستهزئ بهم وقت خلوم بشياطينهم وهو محال . أو يوم العطف على جملة : أنا معكم ، وهي مقول القول ويكون المعنى أن استهزاء الله بهم من مقولهم . وهو أشد إحالة وتمزيقا للمعنى . وهذا يحمل للقطع لا قيمة له ، بل الاستئناف هنا لدحض الكلام ونقضه (١) .

الرابع من مواطن الفصل : شبه كمال الاتصال :

وهو المسمى بالاستئناف البياني ، فالجملة الثانية بمنزلة المتصلة بها أى الجملة الأولى ، لكونها جوابا لاسؤال اقتضته الأولى ، فتنزل الأولى منزلة السؤال والثانية جواب يتصل ويلتحم بالأولى دون عطف وهذا الموضع أهم مواطن الفصل وجل الكلام عليه ، ويكثر فائقا الحصر والعذ في القرآن الكريم والحديث الشريف ، وكلام البلغاء ، لأنه أسلوب نفس ، يشترط المخاطب في ترقب الأسلوب وصياغته فالجملة الأولى دائما تكون مكتنزة فيها بعض من الظلال والفصوص الخفيف ، أنها ليست واضحة جدا بحيث يمكن الوقوف عنها والسكوت عندها . بل تشير فيضا من الاستفسارات والاستفهامات . تنار حتما في نفس المتلقى ، تجذبه وتشركه في الصياغة ويكتفى الأسلوب بما يثيره فلا يظهر مصرحا به ، بل يظل مكنونا في الأسلوب والضمير في منطقة الظل ثم تأتي الجملة الثانية لتجيب عن السؤال ، وتطفى أشواق النفس أو ترى ظمأها ، وتشبع هذا التطلع

(١) راجع المطول ٢٥٧ ودلالات التراكيب ٢٤٣ .

المعاطى للمجهول فيتم كد المعنى من الناحية العقلية ويحقق المتعة النفسية واشباع حاسة الفن والجمال ولذا قال الحكيم :

لا يصير إلى هذا الأسلوب إلا لأسرار ونكات «إلى» وهنا شيء آخر نحسه دائماً في الأساليب التي تبني على الحذف أو التقدير أعني توزيع الذكر والحذف في العبارة بتقنين يشبه توزيع القولين والظلال . في اللوحة الفنية ومن ثم اعتدنا أن نعد الحذف أو التقدير منطقة مظلة في العبارة تنير وتشوق ، وتعم وتربط التراكيب في سبك جيد واتصال قوى يرى العجول ظاهره فيعتقد أن الأسلوب لا باطن له ، ولا خبيء ويكثر هذا في مواطن التقابل في القرآن ، لأن كثرة من النماذج البشرية القرآنية متقابلة متصلة بعضها ببعض لا تنفصل كالمؤمنين بأقسامهم من متقين وأبرار وسوام والكافرين من مشركين ويهود ونصارى والمنافقين بسماهم وصفاتهم ، ومعرفة صفات كل نوع وجزائه يستلزم عقلاً ، وعرفاً واهتماماً نفسياً والتطلع إلى معرفة المقابل وما له عليه ، مما فيه من تصوير كاشف وتأكيده موضح ، تأمل الآية « إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون » جاءت مفصلة عقب ذكر المتقين وجزائهم ، أول سورة البقرة على سبيل الاستئناف وأنه تبني على تقدير سؤال — كما يقول الشهاب . وذلك إدراج له في حكم المتقين ، تابع له في المعنى — وإن كان مبتدأ في اللفظ وهو في الحقيقة كالجاري عليه .

وقد فصل ذلك شياً شريفاً في حاشيته على الكشف والسعد في الطول

وعلى هذا فلايس الشيخ دراز أول من جعل القطع منا الاستثناف كما ذهب بعض المعاصرين (١).

وحين يكون قصد إلى الاستقلال والمغايرة تأتي الواو كقوله تعالى :
« إن الأبرار لفي نعميم ، وإن الفجار لفي جحيم » والاستثناف على ثلاثة أضرب :

١ - السؤال عن سبب الحكم مطلقا . بأن تجعل الجملة الثانية جوابا عن سؤال عام تقديره : ماهو ؟ أو لماذا أو ما السبب ؟ فهو سؤال عن المقصود كقول الله « ونقول ذوقوا عذاب الحريق ذلك بما قدمت أيديكم » وقيل هذا النوع من النوع الثاني الآتي ، وقال تعالى : « قل المؤمنین یفوضوا من أبصارهم ویحفظوا فروجهم ذلك أزکی لهم » ومنه « وعد الله الذین آمنوا منكم وعملوا الصالحات لیستخلفنهم فی الأرض كما استخلف الذین من قبلهم . ولیمکن لهم دینهم الذی ارتضی لهم ، ولیدلنهم من بعد خوفهم أمنا : یعبدوننی لا یشرکون بى شیئا » .

وقال الشاعر :

وقد غرضت من الدنیا فهل زمنى معط حیاتی لعز بعد ما غرضا

جربت دهری وأهلینیه فأتیرکت بعد الی التجارب فی واد صری وخرقدا

جربت دهری وأهلینیه فأتیرکت بعد الی التجارب فی واد صری وخرقدا

(١) راجع الکشاف بخطیة للتشیید : ١/ ١٥٠ والظول ٢٥٩ والنبأ العظيم ٢٢١ وقالات التراکیب ٣٥٨ .

وغرّضت : ضجرت والفر : الفاضل أى غرة جاهل لم يجرب مثلى ،
وقد فصل جملة : حرّيت : لأنها سبب عام لضجره من الدنيا .

٢ - السؤال عن سبب خاص : كقول الله تعالى : « وما أبرئ نفسي إن النفس لأماورة بالسوء » وذلك أن الجملة الأولى وهي على رأى من
قول سيدنا يوسف ، أثارت سؤالاً خاصاً . فيه تعجب واستعجاب ؟

لماذا لا يبرئ نفسه ، هل النفس أمارة بالسوء ؟ فكان الجواب :
إن النفس لأماورة بالسوء . وفيه تأكيدان : إن واللام : قالوا ليس هنا
إنكار ولكن تأكيداً لأنها لأن الخبر طلبى ، وتأكيدها منها انفرادية الحكم
وصديقه من نبي موصوفه وإن كان حكماً ينطبق على كل نفس^(١) قال
الخطيب : ومـ هذا الضرب يقتضى التأكيد ، يعنى لأنه خبر طلبى وقد جاء
الأسلوب غير مؤكد في قول الشاعر :

إذا ما الدهر جر على الناس كلاً كلاً أبلخ بأخريهـ
قل للشاكرين بنا : أمة واثقة يلقى الشاكرون كالتيمهـ
هكذا قال الشيخ عهد للتعامل الصعدي^(٢) ويمكن الرد بأن السين هنا

(١) ولهذا جهات الإفساد في الآلا ما رخص بين أى راحة عن النفس
والمستثنى نفس يوسف واضرايه والمراد ضم النوع البشرى اعترافاً بالمعجز
لولا العصمة الشهاب ١٨٧/٥ .

(٢) بقية الإيضاح ٨٠/٢ وفى المعنى أى السين عهده الذى مضى إذا
دخلت على ما يفيد الوعد أو الوعيد تقتضى تأكيداً كقوله تعالى فسوف تكفون
الله أولئك سيرحمهم الله ١٣٩/١ .

للتأكيد على رأى الزمخشري والتأكيد عموماً للاستحسان كما قال السعد
فإذا قلت : أعبد ربك : إن العبادة حق : فهو جواب لسؤال خاص .
وإذا قلت : العبادة حق : فهو لمطلب السبب وقد تأني فاء الاستئناف :
لتكون الجملة جواباً عن مطلق السبب فنقول : فالعبادة حق ومن السؤال
الخاص : ولا تخاطبني في الدين ظلموا أنهم مغفون » وقال « إني جزيتهم
اليوم بما صبروا أنهم هم الفائزون » .

٣ - أن تكون الجملة الثانية جواباً عن غير السبب عن شيء آخر
له تعلق بالجملة الأولى غير التعلق بالسبب يقول الله تعالى عن الملائكة ،
وإبراهيم : قالوا سلاماً . قال سلام ؟ أى ماذا قال لهم إبراهيم في جواب
سلامهم . فقيل : قال : سلام . حياهم بأحسن من تحيتهم ، لأن تحيتهم
كانت بالجملة الفعلية الدالة على الحدث أى مسلم سلاماً ، وتحيته بالإسمية
الدالة على الثبوت والدوام أى سلام عليكم ^(١) وهذا اللوث يكثر في
محاورات القرآن ، وبخاصة تلك المحاورات التي فيها جدال وحدة وتنفذ
ولإثارة ومغالبة . ونقتطف شيئاً من هذه المجاورة اللفظية بين نبي الله
موسى عليه السلام ، وعدوه فرعون : من سورة الشعراء : « قال فرعون :
وما رب العالمين ؟ قال رب السماوات والأرض وما بينهما إن كنتم موقنين
قال لمن حوله ألا تستمعون . قال ربكم ورب آبائكم الأولين ، قال :
إن رسولكم الذي أرسل إليكم لمجنون . قال رب المشرق والمغرب . وما

(١) انظر شروح التلخيص ٦٠/٣ . ٢٧٠

بينهما إن كنتم تعقلون . قول . لن اتخذت إلها غيري لأجعلك من
المسجونين . قال : أو لو جئت بك بشيء مبين ، قال فأت به إن كنت من
الصادقين . فالتقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ^(١) . والسؤال في هذا اللون
قد يكون عن الفاعل أو غيره من مشتملات الجملة الأولى كقول الوليد بن
يزيد الأموي :

عرفت المنزل الخالي ههنا من بعد أحوال
عفاه كل حمان عسوف الويل ههنا

وعفا : درس . والحنان : السحاب ، وعسوف الويل : شديد المطر
والسؤال هنا عن الفاعل للمطاء وقال المتنبى :

وما عفت الريح له محلا عفا من حدا بهم وساقا
فلما نفي أن تكون الريح قد عحت منازل الربيع ، وجعلته خرابا كان
مظنة أن يسأل عن الفاعل وقد عينه . بأنه هجران الأحياء وارتحالهم على
أهل محدوها السائقون .

وهناك تقسيم آخر للاستئناف مرتبط بالتقسيم الأول :

فلاستئناف أو الجملة المستأنفة قد تأتي باعادة اسم ما استأنف عنه ويكون زابطا بين الجملتين نحو : أحسنت إلى زيد : زيد حقيق بالإحسان وأبلغ منه ما بيني على صفته نحو أحسنت إلى زيد حديقك القديم أهل للأحسان ، وهو مشتمل على الصفة منظر على بيان السبب ، إذ الوصف

(٢) الآيات ٢٣ - ٢٤

علة للحكم ، وقد يعقب المستأنف عنه في الجملة الأولى بصفات ، ثم يذكر في الاستئناف باسم الإشارة مبيناً حكمها بترتيب على الصفات كقول الله تعالى :

« ... والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك : وبالأخرة هم يوقنون أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون » (١)
ونحو : « فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبذلناهم بحنتهم جنتين » ذواتي أكل خط ، وأئل ، وشيء من سدر قليل ، ذلك جزيناكم بما كفروا » (٢)

ومما أعيد فيه الاسم ؟ « وإذا نقلى عليهم آياتنا بينات ، تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر ، يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أنا نبشكم بشر من ذلكم ؟ النار ، وعدما الله الذين كفروا وبئس المصير » (٣)

فهو يصف في دقة بالغة ، حقيقهم وغيظهم المتلطف حين يسمعون آيات القرآن ، يكاد الاجرام والقهر يدفعهم إلى الإيقاع والاعتداء الفاضل على من يقرأ القرآن ؟ ثم يصعد القرآن المعنى على طريق السخرية من عنف أفعالهم — وانقلاب سخيم : أننبشكم بما هو أشد خطراً ؟ وثمراً ؟ في نظركم ؟ استفهام حاد ينير استفهاماً هاماً عن هذا الأخطر ؟

(١) البقرة ٤ ، ٥٥

(٢) سبأ ١٦ ، ١٧

(٣) الحج ٧٢

بما أن الجواب موجزاً مركباً مكثفاً ، كلمة واحدة مطلقة يدفع التاد
بهي بوقتها للخييف النافذ تنير سؤالاً آخر : ما شأنها : فيكون لظوايب
والحكم النافذ « وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير » وقد حذف هنا
نحو الاستغناء أو المبتدأ وبقى الخبر . ومنه : « يسبح له فيها بالقدوس
والآصال ، رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة » (١) على
فراقها . يسبح للفعول ؟ أي يسبحه رجال . (٢)

ففيه اكتفاء أي الحذف من كل جملة بما يقابل ذكرها في الأخرى
مع حذف السؤال المقدّر فكان مواطن التظليل تكسر على النفس
صلوها بأشهرها . كما لها ، واستمرار المقواها .

مواطن الوصل :

وهما موطنان :

١ - كال الانقطاع مع الإيهام

بمعنى أن تختلف الجملتان : الجملتان خبرا وإنشاء الفصل يوم بخلاف المقصود . كقول سيدنا أبي بكر لرجل : أتبيع هذا الثوب ؟ قال : لا عافاك الله ، قال : لقد علم لو كنتم تعلمون . قل لا وعافاك الله ، وفي رواية : لا ويرحك الله - ومن الأدب النبوي حديث الأعرابي الذي جبد الرسول صلى الله عليه وسلم جبذة عنيفة من طوقه ، حتى حر رقبتة . وقال : احمل لي بغيري هذين فأنت لا تحمل لي من مالك ولا من مال أبيك - فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله ، لا وأستغفر الله » (١) قالوا : وسأل هارون الرشيد وزيره عن شيء فقال : لا وأيد الله الخليفة ، فسر به ، وقال الصاحب بن عباد الوزير الأديب المتقن تطبيقا خفيف للظل : هذه الواو أحسن من الواوات في حدود الملاح : يريد خصل الشعر المتدلية على الوجنة أو الذراع .

وهذا المواطن لا يوجد له شواهد قرآنية والحسين فيه محدود .

٢ - الوطن الثاني : التوسط بين الكالين : أي التوسط بين كمال

(١) ٧٧١ - ٧٧٢ (الخط ١٢)

(٢) ٧٧١ - ٧٧٢ (الخط ١٢)

(٣) ٧٣١ - ٧٣٢ (الخط ١٢)

(٤) ٧٣١ - ٧٣٢ (الخط ١٢)

(٥) ٧٣١ - ٧٣٢ (الخط ١٢)

الانقطاع وكال الاتصال وهو ضربان :

(١) التاج ٦٥/٥ .

الأول : أن يتفقا خبرا وإنشاء ، لفظا ومعنى مع وجود الجامع كقوله تعالى « إن الأبرار لفي نعيم ، وإن الفجار لفي جحيم ^(١) . وقوله تعالى : « يخرج الحي من الميت ، ويخرج الميت من الحي » ^(٢) . وقال : يخادعون الله وهو خادعهم ^(٣) ونحو : « كلوا واشربوا ولا تسرفوا » ^(٤) والمطف هذا : يعنى المتأسبة الخاصة للبررة للمطف ، ويعنى أيضا للفايرة والمخالفة بينهما واستقلال كل معنى بذاته .

الثانى : أن يتفق الجملتان فى الخبرية ، أو الإنشائية معنى فقط والواقع أن المعنى الخبرى أو الإنشائى هو الأهم ، والصورة الشكائية خبرا وإنشاء ليست مقصودة لذاتها ولذا فهذا التقسيم عند الخطيب لا يفيد كثيرا ، قال تعالى : « وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله ، وبالوالدين إحسانا وذى القربى واليتامى ، والمساكين ، وقولوا للناس حسنا » ^(٥) عطف قولوا على : لا تعبدون لأنه بمعنى اعبدوا .

وقد نرى فى اختلاف الصياغة فوقى مآقوله : من يناسب الصياغة مع أهمية الحدث وخطورة الدعوة إليه ، فبدأ بالمبادأة جاعلا الأمر فى صورة المضارع ليحقق أولا معنى القصر على الله وحده ، وإظهار العبادة فى صورة الخبر كأنه سورخ إلى تنفيذه ووقوعه فهو يخبر عنه كما مر فى المجازى . ثم

(١) الانفطار ١٣ ، ١٤ .

(٢) الروم ١٩ .

(٣) النساء ١٤٢ .

(٤) سورة الأعراف ٣١ .

(٥) البقرة ٨٣ .

اختار المضارع المفيد للاستمرار وهو استمرار ينظم الحاضر والمستقبل يعني :
لا تستمروا على العبادة الكاملة إلا لله وحده ، ولما كان الإحسان إلى
الوالدين بلى في الدعوة القرآنية عبادة الله لأنه ضرب من رد الجليل كما قال
الله « واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا » ^(١) « وقضى ربك
ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا » ^(٢) ولاحظ حين أتى بالعبادة في
صورة الأمر كرر الجملة مؤكدا للعبادة بنفى نقيضها أو النهى وهو الإشراف
وحين أتى بالنهى في الآية الثانية « وقضى ... » جاء به في صورة التقصير ،
مسموقا بالحكم النافذ والأمر المتقضى « وقضى » أقول : لما كان البر
بالوالدين هذه منزلة : إلتزم في كثير من نصوص القرآن : هذه العبارة
وبالوالدين إحسانا : أو ما يعادلها .

ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ، أو حسنا « فقدم المتعلق : الوالدين
وأتى بالمصدر مرادا به الأمر إحسانا أو الفعل محذوف تقديره . أحسنوا
أو تحسنون ، مبالغة في التأكيد ، وإن كان أقل من التأكييد في عبادة
الله ، ثم ثلث بالأمر الأخير . وهو قول المعروف أو قول الحسن للناس على
طريقة الأمر الإرشادية ، كثرة للعبادة وطاعة الوالدين أو ثمرة للنفس التي
تربت على العبادة والتقوى والخير والبر ، جزاء حتى صار طبعاً أى
الإحسان لمن يستحق كالوالدين ، وابتداء في كل معاملة وسنوك . قولاً
وعملاً ، لأن القول دليل العمل .

ويفهم من عطف الإنشاء على مثله — والخبر على نظيره أن الخبر

(١) النساء ٣٦

(٢) الاسراء ٢٣

لا يعطى على الإنشاء ، وقد مرت بك هذه القضية ورأى الإمام القزويني
حتى تظل القواعد البلاغية قائمة — التقدير بمعنى أننا نقدر في سورة —
للصف . وبشر الصابرين الذين آمنوا . معطوفا عليه أى فأنذرهم ، وبشر
وفي قوله تعالى « لأرجنك وأهجرني مليا » . أى فاحذرني وأهجرني كما
قدر الزمخشري^(١) وقد سبق ذلك بالتفصيل وهو في نهاية الأمر لا يجعل
الفصل بين الخبر والإنشاء قاعدة تامة للسلامة ، تستوفي كل الأساليب ...
والله أعلم . وأحمد لله رب العالمين .

مكة المكرمة في رمضان المعظم ١٤٠٦ هـ

(١) بغية الايضاح ٨٧/٢ .

مراجع البحث

- ١ — الابهاج في شرح المنهاج للإمام علي بن عبد الكافي السبكي
- ٢ — الاتقان . السيوطي •
- ٣ — أثر النحاة في البحث البلاغي : د. عبد القادر حسين •
- ٤ — الاستغناء في أحكام الاستثناء : شهاب الدين القرافي •
- ٥ — أسرار البلاغة : عبد القاهر الجرجاني •
- ٦ — أسرار ترتيب القرآن :
- ٧ — أسرار التفكير : الكرمانى •
- ٨ — أساس البلاغة : الزمخشري •
- ٩ — الأسس الجمالية د. عز الدين اسماعيل •
- ١٠ — أسس النقد الأدبي د. أحمد بدوى •
- ١١ — الأسلوب : الشايب •
- أساليب الاستقهام في القرآن الأستاذ عبد العليم قودة •
- ١٢ — الأطول : العصام •
- ١٣ — الأعجاز البلاغي : د. محمد أبو موسى •
- ١٤ — الأعجاز البياني د. بنت الشاطي •
- ١٥ — الأعجاز في دراسات السابقين : الأستاذ عبد الكريم الخطيب
- ١٦ — أعجاز القرآن : للباقلاني •
- ١٧ — أعجاز القرآن : الراقعي •
- ١٨ — الأقصى القريب : القنوخى •
- ١٩ — الأمالى الشجرية : ابن الشجرى •
- ٢٠ — أمالى المرتضى •
- ٢١ — أمين الخولى في مناهج تجديده : د. كامل سفيان •

- ٢٣ - أنوار الربيع : ابن معصوم المدني •
- ٢٤ - الإيضاح / القزويني •
- ٢٥ - الإيمان / ابن تيمية •
- ٢٦ - البحر المحيط / أبو حيان •
- ٢٧ - بدائع الفوائد / ابن قيم الجوزية •
- ٢٨ - البديع / ابن المعتز •
- ٢٩ - بديع القرآن : ابن أبي الأصبع •
- ٣٠ - البرهسان : الزركشي •
- ٣١ - بصائر ذوي التمييز / الفيروزبادي •
- ٣٢ - البلاغة تطور وتاريخ : د. شوقي ضيف •
- ٣٣ - بلاغة النعطف في القرآن د. عفت الشرقاوي •
- ٣٤ - البلاغة القرآنية : د. محمد أبو موسى •
- ٣٥ - البيان العربي : د. بدوي طبانة •
- ٣٦ - البيان والتبيين : الجاحظ •
- ٣٧ - تأويل مشكل القرآن : ابن قتيبة •
- ٣٨ - تحت راية القرآن : الرافعي •
- ٣٩ - تحفة الأريب : أبو حيان •
- ٤٠ - ترجيح أساليب القرآن : محمد بن المرتضى اليماني •
- ٤١ - التصوير الفني - سيد قطب •
- ٤٢ - تفسير أبي السعود : ارشاد العقل السليم •
- ٤٣ - تفسير الألوسي : روح المعاني •
- ٤٤ - تفسير البيضاوي بحاشية الشهاب •
- ٤٥ - تفسير الرازي : التفسير الكبير •
- ٤٦ - تفسير سورة النور : ابن تيمية •
- ٤٧ - تفسير سورة الفاتحة : محمد عبده •
- ٤٨ - تفسير الطبري جامع البيان •

- ٤٨ — تفسير غريب القرآن : ابن قتيبة •
- ٤٩ — التفسير القيم لابن القيم جمع محمد أنيس التدوي •
- ٥٠ — تفسير الكشف : الزمخشري بحاشية السيد •
- ٥١ — تفسير النيسابوري : غرائب القرآن •
- ٥٢ — تقرير الامباي •
- ٥٣ — جواهر البلاغة : الهاشمي •
- ٥٤ — جوهر الكنز لنجم الدين احمد بن الأثير •
- ٥٥ — حاشية الدسوقي •
- ٥٦ — حاشية السيد على الكشف •
- ٥٧ — حاشية السيد على شرح الكافية •
- ٥٨ — حاشية الشهاب على البيضاوي •
- ٥٩ — حاشية عبد الحكيم •
- ٦٠ — الحيوان للجاحظ •
- ٦١ — درة التنزيل : الاسكافي •
- ٦٢ — درة الغواص : الحريري •
- ٦٣ — دفاع عن البلاغة : الزيات •
- ٦٤ — دقائق التفسير لابن تيمية جمع د. محمد السيد •
- ٦٥ — دلائل الاعجاز عبد القاهر •
- ٦٦ — دلالات الالفاظ د. ابراهيم انيس •
- ٦٧ — دلالات التراكيب د. محمد ابو موسى •
- ٦٨ — الرمز والرمزية د. محمد فتوح •
- ٦٩ — الرمزية في الأدب : درويش الجندی •
- ٧٠ — لروض الأنف : أبو القاسم السهيلي •
- ٧١ — سر الفصاحة : ابن سنان الخفاجي •
- ٧٢ — شرح المفصل لابن يعيش •

- ٧٣ — شرح الكافية للرضي •
- ٧٤ — الصناعتين للعسكري •
- ٧٥ — الصورة الفنية د. جابر عصفور •
- ٧٦ — ضياء الدين بن الأثير د. زغول سلام •
- ٧٧ — الطراز لتعلوي •
- ٧٨ — المظاهرة القرآنية : مالك بن نبي •
- ٧٩ — عبد القاهر الجرجاني : د. أحمد بدوي •
- ٨٠ — عباس العقاد ناقدًا د. عبد الحى دياب •
- ٨١ — علوم البلاغة : المراغى •
- ٨٢ — العمدة : ابن رشيق •
- ٨٣ — عيار أنشعر ابن طباطبا •
- ٨٤ — غريب القرآن : السجستاني •
- ٨٥ — الفن القصصى فى القرآن د. محمد خلف الله •
- ٨٦ — فى النقد الأدبى د. شوقى ضيف •
- ٨٧ — فوائد فى مشكل القرآن : عز الدين بن عبد السلام •
- ٨٨ — قضية الاعجاز القرآنى د. عبد العزيز عرفة •
- ٨٩ — قضايا النقد د. العشماوى •
- ٩٠ — القاموس المحيط •
- ٩١ — الكتاب سيبويه •
- ٩٢ — لسان العرب ابن منظور •
- ٩٣ — اللغة الشاعرة : العقاد •
- ٩٤ — المثل السائر لابن الأثير •
- ٩٥ — المحصول للرازي •
- ٩٦ — مدخل الى علم الأساوب : د. شكرى عياد •
- ٩٧ — مدخل الى القرآن : د. محمد عبد الله دراز •
- ٩٨ — شاهد القيامة •

- ٩٩ — المطول سعد الدين التفتازانى •
- ١٠٠ — معترك الأقران : السيوطى •
- ١٠١ — معجم ألفاظ القرآن : مجمع اللغة العربية بالقاهرة •
- ١٠٢ — معجم المصطلحات البلاغية ط د • أحمد مطلوب •
- ١٠٣ — المعجم المفهرس احمد عبد الباقي •
- ١٠٤ — معجم مقاييس اللغة ابن فارس •
- ١٠٥ — معنى لا اله الا الله رسالة للزركشى •
- ١٠٦ — معانى الحروف للرمانى •
- ١٠٧ — معنى اللبيب لابن هشام •
- ١٠٨ — مفتاح العلوم : السكاكى •
- ١٠٩ — مفردات الراغب •
- ١١٠ — من أسرار اللغة د • ابراهيم أنيس •
- ١١١ — من الاعجاز البلاغى د • صباح دراز •
- ١١٢ — من بلاغة القرآن د • أحمد بدوى •
- ١١٣ — منهج الزمخشري في تفسير القرآن د • الجوينى •
- ١١٤ — من الوجهة النفسية د • محمد خلف الله •
- ١١٥ — النبأ العظيم د • محمد عبد الله دراز •
- ١١٦ — نظم الدرر البقاعى •
- ١١٧ — نظرية اللغة في النقد العربى د • عبد الحكيم راضى •
- ١١٨ — نقد النثر قدامة بن جعفر •

الميسرة هــمـل

غفر الله له ولوالديه

محتويات الكتاب

صفحة	
٣	تقديم
٩	الفصل والوصل
١٧	الوصل بحروف العطف
٢٢	الواو بين المفردات
٣٦	صفات الله تعالى
٣٩	في الصفات البشرية
٤٦	الوليد بن المغيرة وصفات النعم
٤٨	عطف المتقاربات دلالة
٥٠	الواو بين التشريك والربط
٥٥	الجامع بين القراءات والجمال
٦٨	الجامع الخيالي شاهد وتحليل
٧٠	مواطن الفصل
٨١	عطف الجملتين خبرا وانشاء
٨٢	الفعل نعم
٨٨	الواو بين الجمل المختلفة خبرا وانشاء ولا محل لها
٨٨	الفصل بشر
٩٩	النوع الثاني من كمال الانقطاع
١٠٤	الوضع الثاني من مواضع الفصل : كمال الاختصاص
١٢٧	مراجعة البحث
١٣٣	محتويات الكتاب

مجله‌های علمی

عنوان	صفحه
دوره‌های علمی	۶۰
روایت‌های علمی	۶۱
مجله‌های علمی	۶۲
مجله‌های علمی	۶۳
مجله‌های علمی	۶۴
مجله‌های علمی	۶۵
مجله‌های علمی	۶۶
مجله‌های علمی	۶۷
مجله‌های علمی	۶۸
مجله‌های علمی	۶۹
مجله‌های علمی	۷۰
مجله‌های علمی	۷۱
مجله‌های علمی	۷۲
مجله‌های علمی	۷۳
مجله‌های علمی	۷۴
مجله‌های علمی	۷۵
مجله‌های علمی	۷۶
مجله‌های علمی	۷۷
مجله‌های علمی	۷۸
مجله‌های علمی	۷۹
مجله‌های علمی	۸۰
مجله‌های علمی	۸۱
مجله‌های علمی	۸۲
مجله‌های علمی	۸۳
مجله‌های علمی	۸۴
مجله‌های علمی	۸۵
مجله‌های علمی	۸۶
مجله‌های علمی	۸۷
مجله‌های علمی	۸۸
مجله‌های علمی	۸۹
مجله‌های علمی	۹۰
مجله‌های علمی	۹۱
مجله‌های علمی	۹۲
مجله‌های علمی	۹۳
مجله‌های علمی	۹۴
مجله‌های علمی	۹۵
مجله‌های علمی	۹۶
مجله‌های علمی	۹۷
مجله‌های علمی	۹۸
مجله‌های علمی	۹۹
مجله‌های علمی	۱۰۰